مقدمة كتاب

تاريخُ أئمةِ وسادةِ عُمانَ

تأليف

جورج بيرسي بادجر

ترجمة الأستاذ الدكتور

محمد علي الداود

الطبعة الثانية

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

تاريخُ أئمةِ وسادةِ عُمانَ

الطبعة الثانية

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

مقدمة كتاب

تاريـخ أئمـة وسـادة عُمـان

تأليف

جورج بيرسي بادجر

ترجمة الأستاذ الدكتور

محمد علي الداود

الطبعة الثانية

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

رقم الإيداع: ٣٠٧ / ٢٠٠٥م

تمهيد المحرر

بعد فترة وجيزة من وفاة السيد سعيد بن سلطان، حاكم عمان وتوابعها في شرق أفريقيا عام ١٨٥٦، أصبحت الحرب وشيكة بين ولديه، الراحل السيد ثويني الذي كان قد ورث حكم عُمان، والراحل السيد ماجد الذي ادعى بزنجبار والجزر المجاورة والمستوطنات العربية في الأراضي المحاذية. وحال التدخل الودي لحكومة بومباي دون نشوب حروب فعلية فاتفق الأشقاء المتنافسون على عرض خلافاتهم إلى تحكيم اللورد كاننغ الذي كان نائب الملك في الهند والامتثال لقراره. وكإجراء أولي تم تعيين لجنة مكونة من العميد السير وليام كوكلان وعضويتي لأجل حل القضايا المتنازع عليها، وهو واجب كان ينطوي على إجراء مقابلات شخصية مع السيدين في كل من مسقط وزنجبار. وبينما كانت هذه اللجنة مشغولة بمهمتها في المكان الأول عام ١٨٦٠ قدم لي السيد ثويني المخطوطة الأصلية من كتاب.(الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين) لمؤلفه حميد بن محمد بن رزيق.

يضم هذا العمل حوليات عمان منذ ظهور الإسلام حتى فترة متأخرة وهو في اعتقادي عمل فريد غني بالأخبار. أما السجلات المحلية التي تم تجميع الأجزاء الأولى منها - التي فيما لو كانت قد وقعت فعلا في متناول أيدي مؤلفين أجانب - فإنها لم تستخدم من قبلهم، حسب علمي، لا في الشرق ولا في الغرب. علاوة على ذلك، شحة المعلومات من المصادر الأخرى التي تخص عمان في العصور الغابرة. فأبرز المؤرخين العرب مثل أبي الفضل والبلاذري والطبري وابن خلدون وغيرهم لم يساهموا إلا بالقليل من الملاحظات العرضية عن البلد سواء قبل أو بعد ذلك.

وعليه فمما لا يثير الدهشة أن يفشل العلماء الأوربيون في تقديم هذا النقص. فرغم أن البرتغاليين قد حكموا مسقط وعدة مدن أخرى على الساحل قرابة قرن و نصف إلا أن مؤرخيهم وكالعادة نادراً ما ألقوا الضوء على حكومة عمان المعاصرة. ونحن ندين بالفضل إلى كارستن نيبور الشهير الذي زار مسقط عام ١٧٦٥ لبصيرته في استذكار الوضع السياسي للعمانيين. في خلاصة عن تاريخها الغابر منذ بدء القرن السادس عشر حيث لم تتوسع أكثر من ذلك والتي تعد خلاصة صادقة جداً وتفوق في دقتها العامة البحوث المستقلة للمؤلفين التالين. وتضم " مختارات حكومة بومباي " رقم ٢٤ لعام ١٨٥٦ عدة بحوث عن عمان الماضي والحاضر أعدها الراحل العقيد روبرت تايلور عام ١٨١٨ وعنوانها " مقتطفات من ملاحظات موجزة تحتوي على معلومات تاريخية وأخرى بخصوص إقليم عمان" إذ يبتدىء بتقرير عن الهجرة المبكرة للقبائل العربية من اليمن ونجد. غير أن عملية التلخيص التي تبدو " الملاحظات الموجزة" قد تعرضت لها وحالت دون تمتعها بأية قيمة فعلية كان يمكن أن تمتلكها كمساهمة في تاريخ عمان القديم. وتظهر نفس " المقتطفات " وبشكل آخر مع شروح قليلة أعدت لتكون إيضاحية رغم خطئها في نفس المجلد من " المختارات" مرة أخرى وهي مؤرخة بعد أربع سنوات بتوقيع فرانسيس واردن، عضو المجلس في بومباي. وفي عام ١٨٣٥ – ١٨٣٦ قام الملازم جاي .أر. ويلستد من البحرية الهندية بزيارة جزء كبير من عمان وقدم لنا في كتابه " رحلات في الجزيرة العربية" الصورة الوحيدة الموثوقة بها مما في حوزتنا عن جغرافية الداخل.ولسوء الحظ فإن اطلاع ويلستد حتى على اللغة العربية كان محدوداً جداً

وهو يعترف صراحة بأن الصعوبات التي كان عليه أن يواجهها في محاولة كتابة تقرير تاريخي للاقليم كان يتعذر تجاوزها.

وتقدم الصفحات الناصعة لكتاب وليام جيفورد بلكريف " وسط وشرق الجزيرة العربية" آخر إضافة إلى معرفتنا الشحيحة عن عمان والعمانيين. ولكونه حسن الإطلاع على الأدب الشرقي وضليعاً بالعادات العربية ومراقباً ذكياً وكاتباً محنكاً فإن ما يؤسف له أن خبرته عن البلاد كانت محدودة بمكوثه القصير في مدينتين أو ثلاثة على الساحل. ومما يؤسف له أيضاً أن كاتباً بمثل مؤهلاته لم تكن لديه سجلات معتمدة في متناول يده لتساعده في تجميع صورة شاملة لتاريخ البلد. إنه يخبرنا بشكل صريح بأنه كان يعيد سرد القصة كما سمعها من السكان لذا فإنه ليس انتقاصاً من شخصه القول أن ذلك هو من نسيج الخيال من البداية حتى النهاية حيث ثبت ذلك من المعنى العام لهذا العمل والأصالة العامة المعترف بها من قبل المدركين من جميع الأطراف في عمان. أما فيما يخص حكم البلاد خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر وعلاقاتها مع القبائل العربية المجاورة وكذلك مع نجد فإن كتاب "المختارات" المشار إليه سابقاً يحتوي على معلومات متنوعة تم إيصالها إلى الحكومة الهندية من قبل المقيمين المتعاقبين في الخليج العربي إن بعض هذه الوثائق تدعو إلى الإعجاب كسجلات للأحداث الجارية على طول الساحل غير أنها إما شحيحة بشكل واضح أو مضللة بشكل حاسم فيما يخص الأمور المحلية ومؤسسات البلد. فمثلاً يستحيل معرفة وظائف وامتيازات الإمامة من مجمل مجموع الوثائق، وإلى حين السنوات العشر الأخيرة فقد كان نظام الخلافة لمنصب حاكم عمان لا يزال موضع نقاش لدى سياسيينا مما تطلب تحديده عن طريق التحقيق الخاص. بل وحتى التسميات

المحلية تعد مشوهة على العموم إذ غالباً ما يستحيل تحديد الترجمة وتطابقها مع الأصل. وفي هذا الصدد فإن الرسائل الرسمية الأخيرة تعد أكثر تعقيداً من الرسائل ذات التاريخ المبكر وهي تنم عن إهمال مطلق لعناصر اللغة العربية.

أما السياق الذي اتخذته مع رواية المؤلف فهو كما يلي : أولاً حذفت الباب الافتتاحي الذي وجدته عند التمحيص مكوناً بشكل أساسي من أنساب مفصلة لقبائل اليمن العربية مع مخططات عرضية لهجراتهم واستيطانهم، والذي نسخ أغلبه من مصادر مألوفة لدى المستشرقين الأوربيين. على أية حال فقد انتخبت من هذه الأنساب وبعناية فائقة كل ملحوظة لها علاقة بأصل القبائل التي تقطن عمان في الوقت الحاضر وقد استفدت منها في " المقدمة" لغرض ربط الفترة التي يبدأ بها المؤلف التاريخ السابق للبلد رجوعاً بما يسمح لنا به الدليل الوثائقي.

ومع استثناء الحذف المذكور أعلاه وحوادث قليلة وقصائد في المديح فقد قدمت ترجمة للعمل برمته. وربما يتعرض العديد من القراء للإرهاق من تفاصيل الحروب الصغيرة الداخلية التي تكون الجانب الرئيسي للأحداث التاريخية. ومن ناحية أخرى فإنه بالدراسة الوثيقة للناس حسب كيفية وصفهم يمكن تكوين تقييم معتمد لأنماط تفكير عملهم واقتصادهم الاجتماعي وطريقة إدارة أنفسهم إزاء أناس آخرين. وغالباً ما توجد هناك تعليقات هامشية وتفاصيل لها صلة بمثل هذه الأحداث والتي مهما بدت غير مهمة للوهلة الأولى فإنها قد تلقي ضوءاً نهتدي به لحل المسائل المهمة بشكل مقنع. وبالنسبة للاستقصاء الحقيقي ذي الهدف السياسي أو التاريخي فإن الخصوصيات من النوع المشار إليها هي خصوصيات قيمة على الدوام

إذ بناء عليها وحدها حسب ما قال اللورد (بيكن) يمكن المضي إلى العموميات بأمان.

ومع ذلك وبغية مساعدة أولئك الذين يفضلون قراءة التاريخ الشرقي دون ملل فقد أدمجت في المقدمة للترجمة تحليلاً كاملاً للأصل مع الاستنتاجات والذي ساعدني في التقصي الدقيق لأجزاء مختلفة منه.

وفي المجال التالي عملت على الإفادة من جميع المواد التي في متناول يدي، القديمة منها والحديثة، بغية توثيق أو تعديل أو إيضاح جمل المؤلف. وتوجد مثل هذه الأمور في الهوامش، وأنا مدين لصديقي المحترم فردريك ايرتن في القاهرة لأنه قدم لي ومن مصدر موثوق وصفاً موجزاً عن الأباضية. وتعد الوثيقة أكثر قيمة بسبب الذكر النادر للمذهب حتى من قبل المجتهدين وعلماء المسلمين التقليديين. كما وأني مدين بالفضل لنفس الرجل للرواية الشاملة المقدمة حول مقتل الخليفة علي بن أبي طالب، إبن عم النبي محمد عليه الصلاة والسلام وزوج إبنته، فالحادث هو من بين بقية أحداث تاريخ الإسلام هو الذي أظهر المعارضين لأول مرة والذين جاء الأباضية منهم.

إن الإدراك الصحيح لهذه المواضيع العديدة لا يمكن الاستغناء عنها من أجل فهم واضح للنظام السياسي الديني للعمانيين.

لقد حاولت قدر الإمكان أن أحدد الأماكن الواردة في رواية المؤلف. غير أن معرفتنا المحدودة جداً بالجغرافية الداخلية قد أجبرتني على تجاوز العديد منها (بدون تعليق) والتي تعد أسماء بعض منها جديدة علينا. فمن الملاحظ ودون أن ننسب ذلك إلى الحكومة البريطانية في الهند، أنه رغم علاقاتنا السياسية والتجارية

الودية مع عمان في القرن الماضي إلا أننا نعرف فعلاً أقل عن هذا البلد وليس أبعد من الساحل عما نعرفه مثلا عن مناطق البحيرات في أفريقيا الوسطى. فخارطة ويلستد هي الوحيدة التي بحوزتنا عن المنطقة وهي مرسومة من ملاحظات شخصية ورغم أنه دمج فيها سفرتين بريتين منفصلتين قام بها رفيقه الملازم وايتلوك من بركاء إلى المصنعة ومن شناص إلى الشارقة، فإنها تقدم إيضاحاً قليلاً أو لا تقدم أي إيضاح عن المدن المتعددة والقرى فيما وراء طرق المسافرين المحددة. أما قيمتها كدليل للموقع النسبي للأماكن المهمة المذكورة في هذه الحوليات فهي قيمة كبيرة، بل إن الأخيرة قد مكنتني إجراء بعض الإضافات على التسمية المحلية للتقسيمات الفرعية المحلية. كما راجعت التهجأة الخاطئة لويلستد للأسماء العربية، كما شملت في المراجعة المناطق الساحلية للخليج العربي والأجزاء القريبة المتضمنة في الخارطة المصاحبة لهذا العمل. وقد تم إجراء تحسين معين في هذا الصدد على خارطة الخليج العربي التي أعدها النقيب بركسن من سرية مشاة البحرية في الخارطة المنشورة من قبل قيادة القوات البحرية (الادميرالية) عام ١٨٦٠ والتي تجسد آخر المسودات من قبل سي.جي. كونستابل والملازم أي. دبليو. ستيف وكلاهما من البحرية الهندية. إلا أن عددا كبيراً من هذه الأسماء بقيت غير صحيحة وهي لو لفظت كما كتبت بالأنكليزية لما فهمها العرب. إنه من المؤسف بأن وزارة البحرية قد حذفت الأسماء بالأحرف العربية والتي طبعت خارطة بركسن مع الأنكليزية. أما مشهد مسقط على الخارطة فهو من صورة التقطها الراحل سرجن ويلش الذي الحق بلجنة مسقط – زنجبار.

هذه بعض الكلمات القليلة حول الترجمة: أن النسخة العربية التي أخذت منها مكتوبة بوضوح وبأسلوب سهل عملت جهدي للمحافظة عليه. كما أن الغياب العام لأحرف العلة قد جعلت الأمر غاية في الصعوبة لأجل التأكد من لفظ الأسماء الصحيح، خصوصاً أسماء الأماكن الغامضة. إن الأصل دون شك هو عمل حميد بن محمد بن رزيق غير أن عدة إضافات يبدو قد أجريت من قبل كتبة مختلفين - خصوصاً الاستهلال للسيرة الذاتية للراحل السيد سعيد - والتي أميل إلى أن أعزوها إلى محمد بن حميد بن رزيق - وهو ربما ولد المؤلف والمذكور في أول خاتمة المخطوطة في نهاية المجلد.

أما الخاتمة النهائية فهي تقدم اسم الناسخ الذي أهمل التواريخ. وحيث أن الكتابة الصحيحة للغة العربية بالأحرف الرومانية لا تزال بعيدة المنال إلا أني لم أدخر جهداً في تحري الدقة الايتمولوجية (دراسة أصل الكلمات وتاريخها) وفي هذا الصدد حاولت ببساطة أن أنقل الحرف الصحيح للأصل بأقرب ما يمكن دون اللجوء إلى ذرائع غير مألوفة لدى القارئ العام. لقد أعطيت للأحرف الصحيحة نفس التشديد اللفظي كما في الإنكليزية. أما بالنسبة لأحرف العلة فقد أعطيت نفس الصوت كما هو موجود عموماً في الإيطالية :(a) كما في (far) و (e) كما في (beg) و(i) كما في (pit) و (o) كما في (store) و(u) كما في (Lunar). والأحرف المدغمة (ai) و (ei) مثل (ie) في (pie) و (ei) في (vein) على التعاقب. وعبرت عن الأصوات المنطوقة مثل (ow) في (how) بـ (au) وحين تضاعف في نفس الكلمة باستخدام (aww) كما في (Tawwam). أما المقطع اللفظي اللاحق في العربية فعند استخدامه للإشارة إلى صفة عادية أو جمعية فقد مثلته بـ (y) الذي يكون نوعاً

ما صيغة العديد من الصفات الإنكليزية مثل(windy) من (wind) و (stormy) من (storm) الخ. وينبغي لفظ (y) في النهاية بنفس لفظ (i) الإيطالية الرنانة التي تعني العلامة النطقية الحادة (-) على حرف العلة فتعني المقطع الذي يتعين تشديده. إن الاهتمام بهذا العامل سيحول دون بعض سوء النطق كما في (Mask'at) بدلا من (M'askat). أما العلامة (^) على حرف العلة فهي لأجل تطويلة، فـ (i^) التي تساوي (ee) و (u^) تساوي (oo). أما الفاصلة قبل أي حرف علة فيراد منها التعبير عن لفظ الحنجرة كما في (عين) (ain)، وقبل أي حرف صحيح فهي حذف لحرف علة سابق.

لقد أبقيت على المقطع الأولي الذي يشير إلى أداة التعريف (el) أينما وجد باعتباره جزءاً من الكلمة. إن عدم الانتباه لمثل هذه الخصوصية من جانب الأوربيين قد أدى مراراً إلى سوء فهمهم من قبل العرب. فبما أنه لا يوجد عربي يلفظ (المسقط) أو (العدن) مع إداة التعريف فإنه لن يقول (بحرين) بدونها. أن كلمة (Al) قبل الاسم الصحيح هي ليست اداة التعريف العربية بل هي أسم يشير إلى العائلة أو السلالة مثل آل وهيبة. أما كلمة (Bin) (بن) بمعنى إبن فهي اللفظة المحذوفة لكلمة (ibn) وهكذا فإن (سعيد بن أحمد) هو (سعيد بن أحمد) أما كلمة (Banu) (بنو) وهي جمع (ibn) (ابن) والسابقة للاسم الصحيح فتعني الادلاء أو ذرية الشخص المشار إليه وهي على الأغلب مساوية لكلمة (tribe) (قبيلة) و (clan) (عشيرة).

أما لفظ (^Bu) بمعنى (أب) فهي اللفظة المحذوفة لكلمة (abu) (أبو) وهي تلحق أحياناً قبل الأسم لابن شخص وتطبق على الاب بدلا من ابنائه. وأحياناً حين تكون الذرية صالحة وبارزة أكثر من

الاسم المفترض وهي حالة أرى أنها تخص السلالة الحاكمة في عمان، آل بوسعيد، أي عائلة أبو سعيد.

المقدمة والتحليل

قدم الجغرافيون الغربيون القدماء معلومات قليله جدا بشأن عمان (١)[١]فتقرير بتولمي عن الساحل الشرقي للجزيرة العربية لا يحتوي إلا على قائمة بالأسماء وتعد خارطته هزيلة ومشوهة. فهو يذكر ميناء موسكا في خط العرض ١٤ْ شمالاً، أي بمقدار درجة ونصف باتجاه الغرب من أقصى (زاجروس) عمان – المركز التجاري الرئيسي وان (Emporium Omanum) تقع على خط العرض ١٩ْ / ٤٥. كما تذكر هذه المواقع من قبل مؤلف بيربلوس الذي "يحاذي سواكروس خليج يمضي عميقاً في صميم أرض عمان (Omana) بمقياس ٦٠٠ على درجة قياس الأبعاد عرضا. وبعدها هناك صخور جبلية عالية شديدة الانحدار ويقطنها جنس يعيشون في الكهوف وتجاويف المنحدرات الصخرية. ويمضي مظهر الساحل هذا لمسافة ٥٠٠ درجة ويقع عند نهايته ميناء يدعى موسكا ورد ذكره مرارا في تصدير البخور (٢)[٢]الذي يستورد من هناك"(٣)[٣]. وحسب هذه الفقرة فإن (زاجروس) (سواكروس) كانت على طرف الخليج وموسكا على الطرف الآخر بمسافة ١١٠٠ درجة أبعد إلى الشمال أو ربما الشمال الشرقي حيث كلا المكانين تفصلهما أرض عمان.

وحيث أن الطرف الأقصى لزاجروس (syagros extrema) عند بتولمي كما ورد في رحلة حول ساحل زاجروس (سواكروس

١- عادة ما يلفظ المواطنون الكلمة " عَمان" بينما يقول بالكريف أن "عُمان" هو سوء لفظنا الأوربي إلا أنه على خطأ. فابن بطوطة يكتبها "عَمّان) إلا أن الجغرافيين العرب غالباً ما يلفظون الاسم هكذا " عُمان" مع الضمة على الحرف الأول.

٢- من الواضح أنها صيغة أغريقية لكلمة "سواحيلي" العربية – نسبة إلى الساحل- وهي صفة لا تزال تطبق من قبل العرب على سكان الساحل الشرقي من أفريقيا.

٣- فنسنت تجارة الأقدمين وملاحتهم، ج٢، ص ٢٤٤.

بيربلوس) تمثل دون شك راس فرتك الحديث فإن من الواضح أن موسكا لأي منهما لا يمكن أن تكون مسقط (٤)[٤] التي تبعد ٤٨٠ ميلا على الأقل شمال ذلك الرأس. إذ ليس هناك ميناء ينطبق على موسكا التي حدد موقعها بتولمي. غير أن موسكا التي وردت في بيربلوس يمكن أن تمثل بندر ريسوت التي حددها جاي. كارتر (٥).[٥]

لقد التبس الأمر على دين فنسنت في ورود أسماء (عمانم) و (عمانة) على ذلك الجانب من الساحل. كذلك كارتر الذي يصف القسم الطبيعي الملاحظ في خليج القمر (٦)[٦]- حيث تنفصل كلا المنطقتين الجبليتين بأربعين ميلا من الأراضي المنخفضة – لم يدهش من أن المنطقة الشمالية ينبغي أن تحمل سمة محددة، لكن حيث أن المنطقة الان والتي تدعى عمان تقع أكثر إلى الشمال فإنه حائر بشأن إعطاء الاسم القديم إلى الجزء الأسفل من الساحل. وتختفي هذه الصعوبة حين نأتي إلى الجغرافيين الشرقيين القدماء الذين يجعلون عمان مشتركة الحدود مع حضرموت تماما كما جعل بتولمي الطرف الأقصى لزاجـــروس Syagros Extrema الحـــدود الشـــمالية Adramittarum regic. لذا يقول الإدريسي : "وبجانب أرض حضرموت إلى الشرق هناك الشحر التي تقطنها قبائل المهرة. وبجانب أرض المهرة هناك بلد عمان والتالي تحاذيه من الشمال"(٧).[٧]

٤- مسقط، مع التشديد على المقطع الأول وليس على الثاني كما يلفظها الإنكليز عموماً.

٥- أنظر بحثه الممتاز المستقي من ملاحظته الشخصية للساحل والمنشور في مجلة فرع بومباي للجمعية الأسيوية الملكية في كانون الثاني عام ١٨٥١.

٦- حول الأصل المحتمل لهذا الأسم أنظر الملاحظة ٤، ص ٥٧.

٧- الجغرافية، المبحث ٦، روما ١٦١٩.

لذا فطبقا لهذه الفقرة فإن عمان تمتد جنوباً إلى خط عرض ١٦ْ أو ١٧ْ شمالاً. وبناءاً على نفس المصدر فإنه يحدها من الشرق المحيط الهندي ومن الشمال الساحل الجنوبي للخليج العربي ومن الغرب إقليم اليمامة وعليه فإنها تحيط بأرض البحرين. إن حدودها في هذا الاتجاه يمكن أن تحدد بشكل تقريبي على خط الطول ٥٠ْ / ٣٠ْ شرقاً. إن ترجمة لأصل الكتاب - الإدريسي- والتي استقيت منه هذه الاستنتاجات موجودة في الهامش (٨)[٨]:وهو يصف عمان أكثر من أي

٨- "في بلد عمان هناك مدينتان، صور و قلهات على ساحل البحر العربي. وبين صور وقلهات هناك سفرة يوم طويل برا وأقل منه بحراً. وبين صور ورأس الجمجمة هناك مسافة خمسة أيام براً ويومين بحراً. أما رأس الجمجمة فهو جبل كبير على الساحل وفي رأس الجمجمة هناك مصائد اللؤلؤ. ومن قلهات على الساحل إلى مدينة صحار هناك مسافة مائتين ميل وبالقرب منها قرية دغمر. ومن مسقط إلى صحار وكلاهما مدينتان مزدهرتان هناك أربعمائة وخمسين ميلاً. وتقع مدينة صحار على ساحل خليج عُمان وهي أقدم مدن عمان. وفي القديم كانت سفن الصين معتادة على الابحار من هناك غير أنها توقفت عن القيام بذلك. وهناك جزيرة تدعى جزيرة كيش. أنها جزيرة مربعة عرضها أثنا عشر ميلاً وطولها أثنا عشر ميلاً. ومن صحار إلى هذه الجزيرة هناك مسيرة يومين. وقبالة صحار في الوسط وعلى مسافة يومين هناك منطقتان مجاورتان يقع قربهما وادي يدعى العقر وهي صفة مألوفة لجدول أو قناة في عمان. إحداهما تدعى سعال والأخرى العقر. أنهما أثنان من المناطق الصغيرة المزدهرة، فيهما أشجار نخيل وزراعة وفواكة وتمور. هما متساويتان في الحجم وهما توافران الماء من جدول (الفلج) والبلد الذي تقعان فيه يدعى نزوى. وحوالي مسافة نصف يوم هناك مدينة (منح) وهي مدينة صغيرة ودونها جبل يدعى شمس وفيها أشجار نخيل وعيون ماء وهي تقع على ضفاف جدول (الفلج). ومن (منح) غرباً هناك سفرة مدة يومان. وهي تقع عند حافة جبل شمس حيث الفلج يأخذ مجراه. أنه جدول كبير وعلى جانبيه قرى ومساكن مستمرة حتى ينتهي في البحر قرب جلفار. وبين نجد وبلد عمان هناك صحراء واسعة. ومن الحجر إلى أرض البحرين هناك سفرة عشرين يوماً. وتحيط بأرض عمان إلى الغرب ونحو الشمال أرض اليمامة

جغرافي عربي قديم إلا أن معلوماته كما ستبين في هذه الدراسة خصوصاً ما يتعلق بالموقع النسبي للأماكن في هذا الجزء من الجزيرة العربية هي غير دقيقة جداً. أن عمان كادارة كانت أحيانا متساوية في الامتداد مع الحدود المذكورة سابقاً، فأحياناً كانت تضم أراض أكثر أو أقل، فالحدود الواقعة ضمن سيادتها تعتمد إلى حد كبير على السمة الشخصية للحكام المحليين ونجاح سياستهم نحو القبائل البعيدة عن المركز. وتمتد بلاد عمان في الوقت الحالي إلى الشرق من رأس الحد إلى رأس مسندم (٩)[٩]، أما البلدان التابعة لسيادتها على ساحل مكران هي جوادر وشهبار وهي توجد بالمنطقة الساحلية من رأس جشك حتى بندر عباس – وهي جزء من كرمان القديمة – إضافة إلى جزر هرمز وقشم (١٠)[١٠]، لقاء مبلغ محدد تدفعه لشاه فارس. أما جزر زنجبار وبمبا والأقاليم الممتدة على الساحل الشرقي من أفريقيا من رأس دلكادو حتى مقاديشو (مكادوكسو) فتكون جزءاً من عمان حتى عام ١٨٦١ حين تشكلت في دولة منفصلة تحت حكم

التي إحدى مدنها حجر، والتي اصبحت أثراً بعد عين الآن". من الغريب للوهلة الأولى أن يعطي الإدريسي للأرض قبالة جزيرة كيش إلى الجنوب اسم "اليمن" غير أن عدداً من الجغرافيين العرب القدماء شملوا جميع عمان ضمن هذه المنطقة. ويلاحظ ديربيلوت هذه الحقيقة في كتابه (الموسوعة الشرقية) تحت عنوان "عمان" ويوسم أبن بطوطة البحر القريب من جنوب جزيرة البحرين باسم "بحر اليمن". (أنظر ترجمة لي، ص٦٥). أن اسم البحرين، بمعنى أثنين من البحار، ربما ينسب أصله إلى فكرة أن بحرين هما بحر اليمن أو عمان وبحر فارس أو كرمان يلتقيان في ذلك المكان. ولا تختلف التسمية عن الإغريقية.

٩- هكذا تهجئتها بالعربية في لانحة بروكس عن الخليج العربي.

١٠- يسمى الادريسي هذه الجزيرة "كيش" أما مؤلف هذا الكتاب فيلفظها "جشم" بينما يجعلها بلكريف "جشوم" أو "جشم". أما الصيغة المألوفة أكثر فقد استبقيت أعلاه.

ماجد وهو الإبن الأصغر للراحل السيد سعيد. لكن حسب الجغرافية المحلية فإن عمان هي مجرد مقاطعة من خمس مقاطعات تنقسم إليها البلاد. ونظرة إلى الخارطة تبين أن سلسلة من الجبال تقطع المنطقة من الجنوب الشرقي حتى الشمال بصورة متوازية تقريباً مع الساحل ملقية وباتجاه الشمال في مسارها فرعا أو ذراعا تمتد إلى رأس الخيمة، على الخليج العربي. وتدعى الأراضي المنخفضة على الساحل الشرقي الباطنة ، أما الجانب المقابل لسلسلة الجبال بين خط العرض ٢٣/٥٠ و ٢٤/٥٠ فيطلق عليه اسم الظاهرة أو الخارج. أما السر(١١)[١١] فهو الاسم الذي يطلقه العرب وجلفار هو الاسم الذي يطلق على المنطقة الساحلية إلى غرب النتوء الجبلي وامتداده غربا حتى خط الطول ٥٣ ويشمل ذلك موانىء عدة. أما المنطقة الوسطى من خط عرض مقنيات إلى الشمال حتى تمتد في الجنوب وبمحاذاة الباطنة على الشرق والصحراء في الغرب فهي عمان التي يحاذيها من الجنوب والجنوب الشرقي جعلان. وأحيانا تتخذ تسمية مختلفة، كما أن الأراضي الواقعة ضمن المناطق العليا من الظاهرة والسر ورؤوس الجبال فيطلق عليها الشميلية بينما يطلق على الجزء الشمالي الشرقي أو عمان بما في ذلك مدن نزوى وبهلاء اسم الداخلية، أما منطقة الظاهرة حتى البريمي غربا فيطلق عليها الغربية. ولو وضع القارئ هذه المصطلحات في باله فسوف يكون بوسعه فهم التفاصيل الجغرافية الأخرى في هذا الكتاب الذي جمعت منه بشكل أفضل.

ومن المؤسف أن نفس المصدر قلما يقدم أية معلومات بشأن الاستقرار الأصلي لعمان من قبل العرب. إن الجزء الافتتاحي من الكتاب الذي أعد لأول وهلة في تأمين ملاحظات خاصة حول الموضوع قد

١١- أحيانا تستخدم السر كمرادف للظاهرة . أنظر ص ١٥٧.

وجد بعد تدقيق أوسع مكونا من أنساب مفصلة لقبائل الأزد في اليمن وشهرتهم في الأزمنة الغابرة مع بعض التلميحات هنا وهناك بأن بعض العوائل من تلك الأنساب قد استقرت في عمان. ومن الغريب القول أنه لا يشير بصورة مباشرة إلى هجرة اليعاربة الذين يعلن عن وجودهم في عمان في فترة مبكرة جداً كما يؤكد ذلك التقليد المتزامن والذين قدموا سلسلة من المتعاقبين على الإمامة في البلد منذ عام ١٦٢٤ – ١٧٤٤م حين جاءت بعدهم أسرة البوسعيد الحالية. ويدعى أن يعرب، سليل قحطان قد حكم اليمن برمتها بما في ذلك عمان حوالي ٧٥٤ سنة قبل الفترة المسيحية. ثم خلفه ابنه يشجب ثم حفيده عبد شمس (سبأ) الذي كان لديه ولدان هما حمير وكهلان اللذين تزاوجت ذريتهما واختلطتا رغم أن أبناء حمير أصبحوا حضراً في الأغلب أي من سكنة المدن والقرى بينما أبناء الثاني أصبحوا البدو أي سكان السهول والصحاري. ومن غير الأكيد ما إذا كان شقيقه كهلان أو ابنه وائل أو حفيده شمر قد خلفوا حمير، غير أن وائل قد اتضح بشكل مميز أنه قد حكم عمان فلدينا ما يبرز الافتراض على وجود اليعاربة في ذلك البلد. ويذكر أن شمر من ناحية أخرى قد اعترف بسلطة الفرس. ويشير م. كوسان دو بيرسفال بأن " الإيضاح الأخير يقترح فكرة أن شمر عاش خلال العهد الملكي لسايروس في حوالي عام ٥٣٦ قبل الميلاد"،(١٢).كما أنه يؤيد ويعزز التقليد المحلي للهيمنة المبكرة للفرس على عمان والتي طردوا منها بمساعدة المهاجرين من اليمن. وكان هؤلاء مكونين من عدد من القبائل الأزد، أحفاد كهلان – وعليه فإنهم من نفس نسب اليعاربة - التي احتلت أصلا أرض مارب

١٢- تاريخ العرب قبل الاسلام، ج١، ص ٥٦. يدين المحرر بالفضل لنفس المصدر القيم لمده بالملاحظات السابقة والتالية بشأن التاريخ المبكر لعمان.

وانتشرت على بقاع مختلفة من الجزيرة العربية في فترة انهيار سد مأرب المشهور حوالي ١٢٠م. أما من هم تحت لواء نصر، ابن الأزد، فقد ذهبوا إلى عمان وعرفوا فيما بعد بـ "أزد عُمان" تحت لواء مالك بن فهم وهو حفيد الأزد التي أقامت في الأنبار قرب الحيرة في العراق – العربي وأسس مملكة التنوخين على غرب الفرات. إن المؤرخين الأصليين الذين استشارهم الكاتب الفرنسي البارز الذي تم الاقتباس منهم يلقون ظلالاً من الشك حول ما إذا كان هؤلاء الأزديين قد هاجروا من أرض مكة وشكلوا مستوطنة هناك حوالي ١٨٠م (١٣)، أو ما إذا كانوا شريحة من أولئك الذين أقاموا في أعالي عمان قبل نصف قرن. ومهما كان الأمر فإن مؤلفنا يوضح أن حكومة البلد الأخير كانت بيد مالك بن فهم الأزدي هذا وأحفاده، والذي منه نستخلص أن عمان كانت منضمة ربما ضمن أراضي حكام الحيرة وأصبحت مستقلة بعد ذلك تحت الأمراء المقيمين من نفس العائلة. ويسجل المؤرخ حمزة أن مالك بن فهم ربما قتل في حادث من قبل أبنه سليمة الذي هرب نتيجة لذلك من عمان حيث ترك ذرية كبيرة وجدت بعد فترة طويلة من ظهور الإسلام. تميل هذه الملاحظة العرضية إلى تأكيد الاستنتاج بأن هناك علاقة ودية بين أزد عمان وأزد العراق العربي.

يبدو أن قبائل أخرى هاجرت إلى عمان من نجد لكن في أي فترة، إنه يصعب تأكيد ذلك. فتحت عنوان "الأزد، أحفاد قحطان" يشير مؤلفنا إلى هجرة عدة فرع منهم وأنهم استقروا في ذلك البلد.

١٣- يذكر أحمد بن يحيى البلاذري هذا الاستيطان للأزد ثم هجرتهم التالية إلى عمان في كتابه فتوح البلدان ص ١٦. التحرير من قبل جوجة لكد، ١٨٦٦.

لقد كان ابن عمر وهو ابن نزار (١٤)-بن معد بن عدنان من إسماعيل حيث يدعي الأزد تحدرهم من قحطان. واستقر أنمار في المنطقة الجبلية من اليمن حيث تحدر ابناؤه قطامة وجبيلة اللذين تزاوجا من كلا العائلتين من كهلان، الجد الأعلى للأزد واعتبرت ذريتهما من الأزد. لقد هاجروا عقب ذلك إلى نجد وسموا باسمهم بين حشود العرب التي استباحت الأراضي الفارسية خلال حكم سابور الثاني الصغير السن عام ٣١٠ – ٣٣٠م. ثم أنزل سابور جيشاً بعد عدة سنوات في القطيف ولاحق العرب إلى الهجر وكان على وشك أن ينهيهم (١٥)-. وهناك فروع هؤلاء الذرية الذين يحدد مؤلفنا موقعهم في عمان.

وتحت عنوان "تشتت طي ابن (أي سليل) الأزد" يشير المؤلف إلى مصدر هجرات أخرى إلى عمان.وأن تصوره عن الأزديين قد قاده على أية حال إلى خطأ لأن طي رغم تحدره من كهلان لا ينتسب إلى عائلة الأزد. إن طي أنجب الغوث الذي أنجب عمرو الذي أنجب أسودان الذي كان اسمه نبهان.وبنو نبهان هؤلاء كما سنرى فيما بعد قد حكموا عمان لقرنين أو ثلاثة. وحيث أن قبيلة جدهم الأعلى، طي، قد تركت اليمن حوالي ٢٥٠م واستقرت في شمال نجد في جبال سلمى(١٦)-فإن من المحتمل أن يكون بنو نبهان قد جاؤوا إلى عمان من تلك المنطقة.

ومن بين العوائل الأخرى من نفس الأصل والتي يذكرها مؤلفنا بأنها موجودة في عمان هم بنو هناة – تكتب أحيانا هناءة– شقيق

١٤- ومن هنا جاءت العلاقة بين القحطانية الازدية والعدنانية النزارية في عمان.

١٥- (٣)تاريخ العرب، ج١، ص ١٨٦،١٩٠، ج٢، ص٤٨، ٤٩.

١٦- يؤيد هذه الحقيقة المسجلة من قبل مؤلفنا عدة مراجع أصلية مقتبسة في تاريخ العرب، ج١، ص ١٠٣.

نبهان (١٧).. ويوسم أحفاده دون تمييز ببني هناة، الهناوية، الهناوي (الهناوية لدى الكتاب الانكليز) وهم يكونون أغلبية البدو من سكان عمان. ومارسوا على الدوام نفوذا كبيرا في البلد.

ويذكر أن العديد من الأئمة الأوائل ينتسبون إلى اليحمد، غير أن أية خصوصيات لم تقدم بشأن ذريتهم سوى إشارة إلى أنهم أزديون. وكما أشير إلى أن المتنافسين الرئيسيين للهناوية وقد يضاف أيضاً للأزديين عموماً – هم بنو غافر الذين لم يشر إليهم مؤلفنا بالكامل. وقد يعزى ذلك إلى أساس أن هدفه المرجو كان كتابة تاريخ مديح لأزد عمان وقد تم التعهد بذلك كطلب من قبل أحد أفراد السلالة الحاكمة التي تنتمي إلى تلك القبيلة. إن اسم غافر لم يقدم لي أي مفتاح عن نسب القبائل العمانية التي تحمل هذا الاسم ولا أزال لدي شك بشأن اشتقاقها. غير أن حقيقة كونهم كذلك "بنو نصر" توضح احتمال أنهم يكونون جزءاً من ذرية نصر بن معاوية – المولود حوالي ٣١٥م – وهو أحد أبناء هوازن، ابن قيس – عيلان، ابن مضر ابن عدنان وعليه فهو من الاسماعيليين(؟) وليس قحطاني الأصل كما يجعلهم بالكريف(١٨).. يتأكد هذا الافتراض بالعلاقات الوثيقة بين بني غافر والجواشم (القواسم) حيث اعتبر الأخيرين على أنهم فرع من الأولين. ولمعاوية ولدان هما نصر وجوشم وقد أصبحا رؤساء قبيلتين سميتا باسميهما، بنو نصر وبنو جوشم.(١٩)[١٩]وغالبا ما

١٧- يذكر م. كوسان دو بيرسفال أن بنو هناه وبنو نبهان، أحفاد عمر بن غوث هما من أكبر القبائل طي. تاريخ العرب، ج٢، ص ٦٠٦.

١٨- وسط وشرق الجزيرة العربية، ج٢، ص ٢٥٦.

١٩- " الجواشم قد تكون جمعا مساويا كما أعتقد أنها الصيغة الصحيحة. بعضهم يخففها إلى "جواشم" بينا آخرون ومن بينهم مؤلفنا يتبعون استخدام عرب الخليج الفارسي ويكتبونها "قواسم".

تذكران كلاهما معا في الحوليات المبكرة للاسلام ويبدو أنهما استقرا في أرض قرب مكة حتى حوالي ٥٩٠م عندما بدأنا نقرأ عنهم في نجد (٢٠). يعزز هذا التاريخ التقليد المحلي في أنهم جاؤوا إلى عمان بعد قرون من الأزديين. لقد استقروا في السر والظاهرة وهما منطقتان لا يزال يحتلها أحفادهم (٢١). وفي النصف الأول من القرن الثامن عشر أصبحوا أقوياء لدرجة تمكنهم من تأمين انتخاب رئيس قبيلتهم، محمد ابن ناصر للإمامة.

إن ما ورد هو تقرير استطعت تجميعه بشأن نسب القبائل الرئيسية في عمان وهجرتهم الأصلية إلى ذلك البلد. وفي سياق الزمن تبعتهم قبائل أخرى وبشكل خاص من نجد، ولدت فروع عديدة بأسماء مميزة وهناك معلومات إضافية حول الموضوع يمكن إيجادها في الهوامش الملحقة بنص هذه الدراسة التاريخية. على أية حال هناك حقيقة واحدة نادراً ما تسمح بأي شك، ألا وهي أن الأزديين اليمنيين هم قبيلة بارزة في عمان حتى نهاية القرن السادس (٢٢)حين أرسل شيسروس برويز جيشاً كبيراً إلى اليمن بقيادة وهراز الذي أخضع ذلك البلد وألحق المهرة وحضرموت وعمان والبحرين بالأراضي الفارسية. على أية حال إن هذه المقاطعات لم تستمر طويلاً تحت نير

٢٠- تاريخ العرب/ ج١، ص٣٠٧،٣٠٩، ج٢ ، ٥٨٧، ج٣، ص ٢٤٥،٢٥٨.

٢١- أن إهمال العربية والانساب من قبل بعض مسؤولينا الهنود يتضح بشكل جلي بالمقطع التالي ومن تقرير عن "الجواشمة" المنشور في مقتطفات الحكومة الهندية، رقم ٢٤، ص٣٠٠ – " الجواسم هم جنس من العرب ينحدرون من سكان نجد ويسمون بني ناصر على الجانب الايسر من الكعبة وسمونه أيضا بني غافر.

٢٢- يقول البلازدي الذي تحدث عن فترة ليست طويلة قبل الاسلام "أن الازد هم سكان عمان الرئيسيون غير أن هناك سكان كثر إلى جانبهم "فتح البلدان، ص٧٦.

الطغيان الأجنبي إذ في حوالي ٦٣٠م بعث النبي محمد عليه الصلاة والسلام الذي كان في ذلك الوقت قد وحد قوته بإخضاع اليمن ونجد مبعوثه عمرو بن العاص إلى الشقيقين، جيفر وعبد ابني الجلندى من قبيلة الأزد واللذان حكما عمان بعد ذلك. ودعاهما لاعتناق الإسلام حيث أبديا استعدادهما بقبول دعوة النبي محمد عليه الصلاة والسلام المقدسة ونبذ عبادة الأصنام.

ومن بين العديد من حركات العصيان التي نشبت عند تولي أبي بكر، خليفة النبي محمد عليه الصلاة والسلام كان عصيان عمان حيث نصب أزدي يدعى ذو تاج لقيط الذي كان قبيل الإسلام قد حاول أن يحل محل الأمير الجلندى، ويدعي نفسه نبيا وقد جمع حوله العديد من الأنصار مما أجبر المسلمين رؤسائهم جيفر وعبد على اللجوء إلى الجبال. وبينما كانت حضرموت والمهرة والبحرين ثائرة في نفس الوقت بعث أبو بكر العديد من قواده ضدهم. فتقدم عكرمة الذي كان مشغولاً في مهمة مماثلة في اليمامة بعد أن شكل اتصالا مع عرفجة بن هرثمة وهو حميري وحذيفة بن محصن وهو أزدي نحو موقع يدعى رجام. إن القادة المسلمين الذين أثنوا على جيفر وعبد لحضورهم إذ ترك الآخرين مواقعهما الجبلية واتخذا بمعية أتباعهما موقعاً في صحار انضم إليهما عكرمة وجماعته في الحال. من ناحية أخرى حشد ذو التاج لقيط أتباعه في دبا (٢٣).التي كانت المدينة والسوق الرئيسي للمقاطعة. وبعد أن نجح قادة أبو بكر في فصل العديد من قبائل الأزد في صحار ودبا وحولهما عمن ادعى النبوة فقد شرعوا باتجاه الموقع الأخير وهاجموا العدو. وخلال

٢٣- يكتب البلاذري هذه الكلمة "دبا" لكن ياقوت والطبري يتهجونها كما في أعلاه. أما بالنسبة لموقع المكان فانظر الملاحظة١، ص ٢٤.

الاشتباك الذي استمر بشجاعة متساوية من كلا الجانبين تعززت قوة المسلمين بشكل غير متوقع عن طريق حشد كبير من بني عبد القيس من البحرين ومن قبيلة أزدية هي بنو النجاح. وقد قتل عشرة آلاف ثائر في الميدان وأصبحت مدينة دبا مع سكانها وثروتها المكدسة هدفا للفاتحين. إن خمس الغنائم ونفس النسبة من الأسرى هم الحصة الشرعية للخليفة حيث أخذها عرفجة إلى مكة إذ بلغ عدد الاسرى ثمانمائة من الرجال والأطفال والنساء بينما بقي حذيفة ليخمد جميع اثار التمرد في عمان (٢٤).[٢٤]

تذكر فقرة في فتوح البلدان (٢٥) أنه في عام ١٥هـ. (٦٣٦م) عين عمر، خليفة أبو بكر، عثمان بن أبي العاص، حاكما على البحرين وعمان، حيث بعث الأخير من هناك حملة ضد السند.

وعليه يمكن أن نفترض أن عمان كانت تابعة للخليفة العربي في ذلك التاريخ مما جعل تاريخ البلد يقع ضمن سنين قليلة من الفترة التي استقى منها مؤلفنا، أي خلال عهد الخليفة معاوية(٤١-٦٠هـ = ٦٦١-٦٨٠م)وهو أول السلالة الأموية. ومع ذلك فإنه يشير في البدء بأن سلطة الخلفاء كانت اسمية على عمان حتى تولى عبد الملك بن مروان، ٦٥هـ = (٦٨٤م) عندما قرر الحجاج حاكم العراق المشهور بأن يسيطر عليها. وأول المحاولات التي قام بها قادته قد جوبهت بشجاعة من قبل العمانيين برئاسة رؤسائهم، الشقيقين سليمان وسعيد وهما من أحفاد الجلندى الأزدي المذكور سابقاً. واللذان طردا الغزاة مراراً. إلا أن حملته التالية المكونة من قوة برية وبحرية قوامها ٤٠٠٠٠ رجل

٢٤- أنظر البلاذري فتوح البلدان، ص٧٦. أن تقريرا كاملا عن هذه الأمور يقدمه أبو جعفر الطبري في تاريخ الرسل والملوك، الخ، ج١، ص٢٠٢-٢٠٦. طبعة غوزغارتن، غريف، ١٨٣١.

٢٥- في الفصل الموسوم فتح السند، ص ٢-١٣٥.

بقيادة مجاعة أكثر قواد الحجاج خبرة لاقت نفس المصير لكن مجاعة الذي عاد مرة أخرى بـ٥٠٠٠ فارس استولى على البلد واعتبرها كمقاطعة مهزومة. وبناء عليه وضعها الحجاج تحت حاكم من أخياره مع تابعين له لجباية العائدات وهو مسؤول بشكل غير مباشر أمام السلطة العليا للخليفة. وهرب سليمان وسعيد من انتقام الفاتحين وهاجرا إلى "بلاد الزنج" وأخذا عائلتيهما وعدداً من أفراد قبيلتهما معهما(٢٦).[٢٦]

وكقاعدة فإن المناصب في عمان قد عهدت إلى عامل العراق والتي هي موضع موافقة الخليفة. وفي سياق ذلك كان الأهالي يعينون لمنصب الجباة ومنصب الوالي أو الحاكم قد عهد به إلى جناح بن عباد من قبيلة بني هناه. واستفادة من هذا التنازل فقد قام الناس عام ٧٥١م بانتخاب عاهل منهم هو الجلندى بن مسعود الذي عرف بأول الأئمة في عمان ولا يبدو أن حكامهم السابقين قد حملوا أية ألقاب مميزة (٢٧).. إن النفوذ الديني يبدو قد حفز للإطاحة بطاغية أجنبي، لأن

٢٦- هذا حسب علمي أكثر الروايات ثقة عن الهجرة الأولى للعرب العمانيين إلى الساحل الشرقي لأفريقيا. وهي تفيد في إيضاح وتصحيح رواية د. كرايف عن المستوطنات الأولى لهؤلاء العرب في ذلك الجزء كما يتولى (كانتوا) في نقاط مختلفة من الساحل الأفريقي الشرقي سنة ٧٤٠ حين أقامها أنصار سعيد،

٢٧- لست متأكداً من هذه النقطة، ضمن جملة في الصفحة ٢ حيث سمي سليمان وسعيد، أبناء عبد بن الجلندي على " سلالة سلاطينهم (في عمان) "في نستنتج أن"سلطان" هي القسيمة التي كان يحملها حكام ذلك البلد سابقاً.من ناحية اخرى فإن المصطلح يحمل معنى الحاكم او السيد أو ربما أريد به هذا المعنى في هذه الفقرة. ويستخدمه أبو الفداء لأول مرة في معناه المحدد في ذكره لركن الدولة النائب الاسمي للخليفة المطيع بالله على فارس، والذي كما يقول أسبغ على ابن شقيقه عماد الدولة لقب "سلطان" ووصفه في نفس الوقت على عرشه عام ٣٣٨هـ=٩٤٩م. لكن حسب الرأي المألوف لدى المؤلفين الشرقيين فإن اللقب لم يطبق مباشرة على أمير شرقي حتى عام ٣٩٣هـ=١٠٠٢م عندما شرف محمود الغزني

الأباضية(٢٨) كانت قد أصبحت مذهباً مهيمناً في عمان. وربما قادتهم نفس الدوافع لتغيير أو استنباط لقب جديد كعاملهم. فالخليفة هو إمام جميع المسلمين يجب أن ينتخب من قبل الناس الذين لهم ما يبرر لهم خلعه إذا رأوا أنه مذنب أو كافر بارتكاب عمل محظور (معصية) سواء في القضايا الدينية أو الدنيوية.

إن عهد الجلندى كان قصيراً عن طريق حملة بعثت ضد عمان من قبل الخليفة السفاح ٧٤٩-٧٥٤م، وفي النزاع الذي حدث بين الجيشين قتل الجلندى. وتبع ذلك فترة خلو الحكم لعدة سنوات كان خلالها البلد ضحية للحكام المحليين الذين ارتكبوا كل أنواع التجاوزات. عندئذ "اجتمع العلماء من كبار القوم في نزوى برئاسة موسى بن أبي جابر واتفقوا على إعطاء الإمامة إلى محمد بن عفان. إن هذا هو أول أعلان من هذا النوع عن الأسلوب الذي جرى فيه الانتخاب وأن النفوذ الكبير للعضو الرئيس في مثل هذه الحالات يتضح بالمثال المشار إليه لأنه نجح عن طريق مخططاته الشخصية في تنحية اختيار النبلاء وإعطاء هذا الشرف لشخص اخر هو الوارث بن كعب. وخلال حكم الوارث تمت محاولة غير مؤثرة أخرى من قبل الخليفة هارون الرشيد ٧٨٩ – ٨٠٩م لإعادة فتح عمان. وقد تميز غسان، خليفة الوارث، في أنه وضع نهاية لغزوات القراصنة الذين زرعوا تلك البحار بزوارق تدعى بوارج قادمة من مداخل الأندس. وخلفه بعد ذلك عبد الملك الذي أصبح أضعف من أن يتحمل وزر الحكم فحدث

خلف أبن أحمد، حاكم سجستان به. وقد فاق في الحال لقب أمير الذي أستخدم قبل ذلك بنفس المعنى ثم تبناه في مصر ولا يزال يستخدم من قبل الأمبراطور العثماني. وقد أضيف أن هذا اللقب قد أعطى كذلك إلى عدة رؤساء يسمون في أجزاء أخرى من الجزيرة العربية بالشيوخ.

٢٨- نسبة إلى عبدالله بن أباض.

عصيان بين الجند أدى إلى تنصيب حاكم. أما حوليات العهد التالي، أي عهد المهنا ٧ ٢٣٧هـ - ٨٥١م فكان إقليم المهرة تابعاً لعمان لأن أهالي تلك المقاطعة قد قضي لهم أن يأتوا بجمالهم مرة في السنة ويسيرون بها حول عمود قام الإمام بنصبه في نزوى لهذه الغاية. إن هدف هذا الأمر كان مزدوجاً: أولاً كاعتراف عام باعتماد المالكين عليهم وثانياً بغية تقييم مقدار العشر على الماشية الذي يجب أن يقدموه إلى الإمام بشكل صحيح (٢٩).[٢٩]

عند وفاة المهنا الذي قمع بشدة انتفاضة بني الجلندى قبيلة الحكام الأقدمين أصبحت الثورة سائدة فتشكلت عدة أحزاب كلها تبغي السلطة. وقد دعي ستة عشر من الرؤساء للاجتماع لتضع نهاية للقلاقل المتزايدة بدون جدوى. وخلال هذه الحالة من الفوضى طلب بعض المستائين مساعدة المعتضد بالله، الخليفة العباسي في بغداد ٨٩٢-٩٠٢م الذي أصدر أوامره إلى محمد بن نور حاكمه على البحرين بغزو عمان برا بقوة تعدادها خمسة وعشرون ألف رجل يضمهم ألف فارس، نصفهم كان يرتدي الدروع وقد تم جمعهم أساساً

٢٩- كانت المهرة قد توقفت عن الاعتراف بسيادة عمان لعدة قرون حتى فرضها الراحل السيد سعيد نتيجة مد سلطته على جزر كوريا - موريا، على ساحل تلك المقاطعة والتي كانت تخضع لشيوخ مرباط، ولما كان متلهفاً للحصول على تأييدنا فقد أهدى هذه الجزر للتاج البريطاني. وكان صك نقل الملكية: باسم الله من سعيد بن سلطان إلى كل من يهمه الأمر من المسلمين والآخرين. لقد جاءني الكابتن فريمانتل موفدا من الملكة العظيمة طالبا مني جزر بني خلفان (أي) الحلانية، السودة، الحاسكية، القبلية، وهنا أقدم لجلالتها الملكية، ملكة أنكلترا، جلالة الملكة فكتوريا الجزر المذكورة ومن بعدها لأولادها. أقدم لهم ذلك بشكل مطلق باسمي وباسم أولادي من بعدي وبإرادتي الحرة وبدون أدنى خطأ من جانبي.لقد عرف ذلك لجميع من قد يستخدمون هذه الوثيقة. كتب في مسقط في السابع عشر من شوال ١٢٧٠=٧ عشر من تموز ١٨٥٤.

من نـزار وبنـوطي، وكـان الرعـب الـذي خلفـه الهجـوم كبيـراً حيـث أن العديـد مـن العوائـل غـادرت عمـان إلـى هرمـز والبصـرة وشـيراز.وبعـد الاستيلاء علـى البريمي ومنطقة السر سار محمد بـن نـور إلـى نـزوى التي أخلاها عزان، الإمام الحاكم، لكن لاحقه إلى سمد الشأن ودارت معركة هناك قتل فيها عزان وبعث الفاتح برأسه إلى الخليفة.

أستقر محمـد بـن نـور فـي نـزوى لكن لـم يمض فتـرة طويلـة قبـل أن يجمع واحد من رؤسـاء القبائـل الهناويـة لطرده من البلـد. وكانوا على وشك تحقيق هدفهم بطرده إلى سـاحل البحـر فـي السيب حين جاءت تعزيـزات قويـة علـى الجمـال بمعـدل رجلين علـى كـل جمـل للمسـاعدة فدارت معركة هزم فيها العمانيون.

وعليه أعاد محمد بن نور احتلال نزوى وحكم بيد من حديد: "إذ قطـع أيـدي وآذان وفقـع عيـون النـبلاء وألـحق دمـاراً لا مثيـل لـه بالسكان ودمـر مصـادر الميـاه وأحـرق الكتـب وخـرب البلـد بالكامـل". ولدى مغادرته إلى البحرين عين بجيرة نائباً لـه علـى عمـان الـذي وقـع بعد فترة وجيزة ضحية انتقام الناس المهانين.

ليس هناك أقل من سبعة أئمة انتخبوا بشكل متعاقب وخلعوا خلال حوالي ثلاثين سنة بعد هذه الحادثة. وتقود الرواية إلى استنتاج بـأن " العمـانيين اسـتفادوا مـن القلاقـل التـي أثارهـا القرامطـة (٣٠)فـي تلك الفتـرة فـي الامبراطوريـة الإسـلامية كـي يعيـدوا تأكيـد استقلالهم. غير أن جهودهم كانت أضعف من أن تمنع "سلطان بغداد" (٣١)- من

٣٠- القرامطة من فرق الباطنية.

٣١- افترضت أن الخليفة يشار إليه بهذا اللقب. صحيح كما أشير أن الألقاب الدينية للمؤلف غالباً ما تحده عن إعطاء لقب الخليفة إلى الحكام المسلمين. مع ذلك فإن تصوراً تالياً يقودني إلى التفكير بأن لقب "سلطان بغداد" يراد بـه "أميـر الأمـراء" وأن تـاريخ الروايـة التـي حـدثت فيـه أي عقـب مـوت

غزو البلد مراراً وتكراراً وبقوة كبيرة لأجل الجباية.وفي هذه المناسبات استقال الإمام من سلطته ولم يستأنفها حتى رحيل الجباة. ولا يبدو أن القرامطة قد نجحوا في إخضاع عمان إذ حسب ما أورده النويري أن حملة مؤلفة من ستمائة رجل قد أرسلت إلى ذلك البلد من قبل أبو سعيد زعيم فرع الطائفة في البحرين قد أبيدت إلى آخر رجل.

وعقب ذلك غزا "سلطان بغداد" مرة أخرى عمان وسيطر عليها بمعسكرين واحد في مقاطعة السر والأخر في العتيق(٣٢).ومع ذلك فقد استمر الناس في تنصيب أئمتهم وفي حالة راشد بن الوليد لدينا رواية ممتعة عن انتخابه وبدايته. إذ التقى أربعة من الرؤساء الكبار معاً في دار المرشح الذي كان مطلوباً منه الموافقة على بعض الشروط

المعتضد بالله، ٢٨٩هـ = ٩٠٢م يؤكد تلك الفكرة لأن اللقب الأخير قد أعطي أولاً إلى أبي بكر ابن الرائق من قبل الخليفة الراضي بالله، ٣٢٤هـ = ٩٣٥م. إضافة إلى الإدارة الكاملة للمالية فإن المنصب يشمل إدارة كل الشؤون العسكرية وحتى أن أمير الأمراء غالباً ما يرأس الجيش شخصياً. وفي سياق الوقت أصبح نفوذ رؤساء الأركان كبيراً في الإمبراطورية وتضاءل الخلفاء إلى مجرد دمى في أيديهم. أنظر ديربيلوت الموسوعة الشرقية تحت أمير وراضي بالله.

٣٢- وردت العتيق في رواية الطبري عن هذا الموقع باعتباره اسم نهر. ويقتبس راسكيوس في كتابه هوامش عن أبي الفداء، ج١،ص ٤٧، مايلي من المسعودي بشأن المكان: "كان ماء الفرات عادة ما يمتد إلى أرض الحيرة وقناته موجودة حتى ذلك الحين وتدعى بالعتيق. وفي هذا المكان حدث الصراع بمكان يدعى النجف. وكانت السفن من الصين والهند تتردد عليه قادمة إلى ملوك الحيرة". تاريخ الرسل والملوك جـ ٣، ص ٢١ حول النص العربي و ص ١٠٥ حول النص اللاتيني الذي حرره كوسغارتن. كما يرى بول في هذه الفقرة ومن مؤلف آخر حول نفس الموضوع مقتبساً من حمزة في أصفهان من قبل رينود في كتابه (علاقات)، الخ أن الفرات كان صالحاً للملاحة في الفترة المشار إليها وإلى مسافة تمتد حتى الحيرة. كاثاي والطريق إلى الهند، جـ، ص ٢٨.

المقدمة له. وبعد إعطاء الموافقة ذهب الرؤساء إلى الناس الذين تجمعوا من جميع أنحاء عمان بهذه المناسبة وأعلنوا عليهم نتيجة مداولاتهم. ووقف رئيس المجلس عندئذ وأعلنه إماماً بكل وقار. وبعد الحصول على بيعة الناس باشر واجبات منصبه التي تشمل إضافة إلى إدارة الشؤون المدنية واجب قيادة الناس في الصلاة العامة.

إن عهد راشد بن الوليد الذي بدأ ميموناً انتهى بكارثة. فالمؤامرات وعدم الطاعة نشبت بين أتباعه الذين دعوا الخليفة مرة أخرى إلى التدخل في نزاعاتهم الداخلية.فتم احتلال نزوى مرة أخرى من قبل جيشه وقد أدى هجوم جريء ضدهم إلى الإطاحة بالإمام راشد ومؤيديه. وقد أذعن راشد إلى ممثلي الخليفة في البلد والذين حكموه حتى ازدادت الاضطرابات في الامبراطورية الإسلامية والتي أدت إلى تمزقها السريع ومنعت الحكام العباسيين من إرسال تعزيزات إلى عمان. وقد حدث ذلك عام ١٠٠٠م حيث لم نسمع بعدها عن أي تدخل للخلفاء في شؤون تلك المنطقة (٣٣).[٣٣]

وبعد حوالي قرن من ذلك نزع العمانيون نحو نظام حكمهم القديم وتم أنتخاب خمسة أئمة على التعاقب وقد أقاموا أساساً في نزوى. وتبع ذلك فترة خلو المنصب امتدت ٢٦٠ سنة كسب خلالها

٣٣- لنصف قرن قبل هذا التاريخ كان يشترك مع الخليفة العربي في سلطته ومجده العديد من الأمراء الذين أقاموا حكماً مستقلاً على أغلب مناطق الإمبراطورية. ففي البداية كان هؤلاء يبايعون الخليفة الحاكم لكن بمرور الوقت أصبحوا يعدونه فقط الإمام الأعظم للإسلام الذي ليس لديه ما يفعله سوى الإمامة في الجامع وإحقاق الحق. صحيح أن الخلفاء مراراً وتكراراً أكدوا إستقلالهم عن الأمراء غير أن سلطتهم بدأت تنهار بشكل ملحوظ منذ عهد الراضي بالله عام ٣٢٥هـ = ٩٣٦م، إلى حين احتلت بغداد وطرد الخليفة من قبل المغول بقيادة هولاكو – خان عام ١٢٥٨م بعد أن حكمتها الدولة العباسية بحوالي ٥٢٣ سنة.

بنو نبهان السيادة وأقاموا سلالة الملوك (٣٤)الذين حكموا جزءاً كبيراً من الداخل حتى إعادة حكم الإمامة عام ١٤٢٩م واستمروا في ممارسة نفوذ كبير في البلد حتى تولى الإمام ناصر بن مرشد الحكم عام ١٦٢٤م.

قبيل حكم بنو نبهان كان الأئمة يختارون من عوائل مختلفة من الأزد. مثال واحد فقط يسجل عن الخلافة المتعاقبة رغم أن مثل هذه الخلافة تبدو وكأنها القاعدة في حالة الحكام من أسرة الجلندى. أما التغير الذي حدث عقب ذلك في هذا الصدد فربما كان معاصراً للمذهب الأباضي الذي يحدد بأن الإمام ينبغي أن ينتخب من قبل الناس.

خلال حكم بنو نبهان ١١٥٤ – ١٤٠٦م تعرضت عمان مرتين إلى الغزو من فارس، أول مرة من قبل "شعب شيراز" عام ١٢٦٥م ومرة أخرى بعد سنوات قليلة من قبل الأمير محمود بن أحمد الكوسي حاكم هرمز من كرمان وهي مهد لإمارة صغيرة ذات أصل عربي كانت في ذلك الوقت قد دمرت من قبل المغول إلا أنها أعيد بناؤها على جزيرة جيرون (٣٥) أو زرون ثم أصبحت منذ الحين تدعى هرمز.

إن تاريخ هذه الغزوات والذي يتزامن مع فقرة من أسفار ماركو بولو عن نفس الفترة تجعله من المؤكد أنها حدثت عندما تسلم أباكاً، أبن هولاكو – خان(٣٦)الحكم، ورغم أن الغزاة قد طردوا في مناسبة أخرى لكن كما سنرى في الحال أن "ملوك هرمز" استمروا بالادعاء

٣٤- يبدو أن بعض هؤلاء قد حازوا على شرف الإمام ومجده.

٣٥- أبي الفداء تقويم البلدان يكتبها زارون.

٣٦- ينقل ابن الوردي أن هولاكو – خان مات في التاسع عشر من ربيع الثاني، ٦٣هـ = الثامن من شباط ١٢٦٥.

بالحكم القضائي على ساحل عمان حتى بداية القرن السادس عشر. إن الهوامش المنفصلة القليلة التي قدمها المؤلف عن حكم بني نبهان هي ذات أهمية قليلة. فيبدو أن حكامهم قد استقروا إما في مقنيات أو بهلاء، وأن أحدهم قد أدخل شجرة المانجا إلى البلد والتي لا تزال مزدهرة هناك. لقد نشبت عداوات بينهم وبين أقاربهم من الهناوية وقد أدى طغيانهم بالناس إلى استعادة الإمامة في عائلة أخرى من الأزد. لقد حدث ذلك حوالي ١٤٣٥م حيث كان بنو نبهان قد عانوا من هزائم قاسية وصودرت الكثير من ممتلكاتهم (ص ٤٩). غير أن قوتهم لم تهزم تماماً لأن عضوين من قبيلتهم وواحد من الهناوية أصبحوا أئمة عقب ذلك، (ص ٥٢). إلى حين عام ١٦٢٤م عندما انتخب ناصر بن مرشد وهو أول إمام من أسرة اليعاربة في الرستاق التي أصبحت آنذاك العاصمة وتم كبح نفوذهم نهائياً (٣٧).

وكما أوضحنا فإن اليعاربة كانوا أول المستوطنين في عمان من اليمن. وهم مثل الأزد من أصل قحطاني غير أنهم ينتمون إلى فرع أقدم من تلك الأسرة. إن نسب ناصر بن مرشد يجعله (ص ٥٣) أولاً يعربياً ثم عربياً أو عربياً نقياً (أنظر الملاحظة ذاتها)، ثم حميرياً وازدياً. وبشكل محدود لم يكن بوسعه أن يكون كليهما لأن حمير والازد أخوان أصبح كل منهما رئيساً لعوائل عديدة، تحمل نفس الاسم المميز لجدها الأعلى. لكن بما أن هذه العوائل قد تمازجت عقب ذلك وربما بات من غير الأكيد من أي منهما تحدر ناصر، إذ كلا النسبين يعهدان له. وفي فترة انتخاب ناصر بن مرشد كانت بعض

٣٧- منذ ذلك الحين فصاعدا حتى اسم بنو نبهان قد توقف ذكره في حوليات عمان. وبوسعي فقط أن أشير إلى هذه الحقيقة بالافتراض إلى أنه بعد فترة طويلة من المنافسة اندمجوا مع أقاربهم الهناوية وتحت هذا التلاحم لا تزال القبيلتان المندمجتان تمارسان نفوذاً كبيراً في البلد.

مدن وقلاع الداخل بيد رؤساء مستقلين بينما مدن أخرى كانت ملكية عامة للسكان الذين يبدو أنهم قد شكلوا حكومات بلدية أو قروية صغيرة. فالرستاق ونخل كانت بيد أقارب ناصر، والتوام أو البريمي ومدينة واحدة في الظاهرة كانت بيد الهلاليين مما يبرهن أن القبائل (أنظر الملاحظة ص ٥٨) كانت قد حصلت على مواطئ قدم قوي في ذلك الجزء من عمان. وبهلاء التي كانت موقعها عسكريا تحت حكم الأئمة وهي إحدى عواصم بنو نبهان منذ كانت بيد بنو هناة. أما لوى (الملاحظة ص ٦٢) فيبدو أنها الميناء الوحيد على الساحل الشرقي التي كانت خاضعة للعمانيين والبقية كانت لا تزال بيد البرتغاليين فالبوكيرك استولى عليها عام ١٥٠٨م في الوقت الذي كانت فيه خاضعة دون شك إلى ملك هرمز (٣٨)..أما جلفار على الساحل الغربي منذ كانت محتلة من قبل الفرس في هرمز ثم من قبل البرتغاليين، إذ لكل واحد منهما كانت له قلعة وحامية هناك. إن طاقة ناصر ومثابرته تساندها قبيلته ويؤيده الناس عموماً الذين كانوا متلهفين لتخليص أنفسهم من الطغيان قد جعلته يستحوذ على كل المدن والمناطق الداخلية. وقد لاقى بعض المعارضة بالعقر في نزوى من قبل بني سعيد (٣٩)وكذلك بنو هناة. غير أن ألد معارضيه كانوا بنو هلال

٣٨- يبدو ذلك واضحاً من رواية فاريا سوسا والتي طبقا لها ذهب الفونسو دي البوكيرك بعد أن غادر سوقطرة إلي قلهات هي " مكان جميل حصين في مملكة هرمز" حيث استقبل استقبالاً طيباً ودخل في معاهدة سلام مع الحاكم. وفي قريات التي تبعد عشرة أميال إلى الشمال حيث استقبل استقبالاً سيئاً فإنه دمر المكان. لقد قام حاكم مسقط بعقد اتفاقية سلام معه ولكن حيث لا تزال قوات البحرية في صحار أجبر السكان " أن يدفعوا له نفس الجزية التي اعتادوا أن يقدموها الى ملك هرمز " انظر كتاب، سنوات ورحلات، جـ ٦، ١٠٢ – ١٠٣.

٣٩- ربما هي نفس الأسرة الموجودة، آل بوسعيد التي خلفت اليعاربة.

في الظاهرة برئاسة ناصر بن قطن الذي كان مقره في الإحساء (أنظر الملاحظة ٢١ ص ٧٠) والذي دخل في تحالف ضد الإمام مع بني هناة.

إن نجاحات ناصر وضعته في مواجهة مباشرة مع البرتغاليين الذين بطبيعة الحال اعتبروا شعبيته المتزايدة شيئاً غير مناسب إن لم يكن إنذاراً. فأحكموا الدفاعات في المحيطات الرئيسية على الساحل مع حامية قوية (٤٠)غير أن الموانئ الأصغر قد تركت بيد السكان وتدفع جزية سنوية. وفيما عدا الإشراف العام فإنها تبدو قد سمحت للسلطات المحلية إدارة قوانينها ومن الغريب أننا لا نقرأ عن أية جهود من جانب رجال الدين البرتغاليين في كسب معتنقي المسيحية في هذه الأنحاء إن سياستهم كانت تصالحية دون شك ولكونهم محاطين بقبائل معادية فقد أرغموا على اللجوء إلى إستراتيجية قلقة وخطرة. إن (فرّق تسد) كان الأسلوب الذي فرضه عليهم موقعهم المنعزل وبينما كان لهم فقط رؤساء منافسين صغار يتعاملون معهم فإن نفوذهم كان كافياً للحفاظ على ميزان القوة لصالحهم. غير أن منافساً أكثر قوة ظهر الآن على الساحة حيث لم تستطع مناوراتهم الاعتيادية ضده إلا بتعجيل الإطاحة بهم بالكامل.

إن السبب المباشر للمعارضة بين الطرفين قد جاء من بعض الحوادث في لوى وهي مدينة صغيرة قرب الساحل على مسافة خمسة عشر ميلاً شمال صحار. فبعد تولي ناصر الحكم كانت القلعة بيد حليف صديق والذي قتل فيما بعد، ثم وقعت بيد شقيقين من قبيلة

٤٠- في صور وقريات ومسقط ومطرح وصحار على الساحل الشرقي.

بني هنأة (٤١) انضم أحدهما إلى عدد من الرؤساء المستائين الذين لجؤوا إلى البرتغاليين في صحار. والبرتغاليون ناصروا قضيتهم وحرضوهم على مناهضتهم للإمام وزودوهم بالأسلحة والذخيرة لأجل القيام بمعارك ضده. على أية حال، رغم هذا التعاون فقد أجبر الثوار على تسليم لوى فبعث الإمام ناصر الذي تشجع بهذا النجاح جيشاً كبيراً لمهاجمة البرتغاليين في مسقط ومطرح. أما الصراع الذي تبع ذلك فقد أدى إلى تخلي البرتغاليين عن عدة مواقع في المكان السابق وكذلك كل الأبنية والأراضي التي كان يحتلها البرتغاليون في صحار باستثناء القلعة. ثم وافقوا على دفع جزية إلى الإمام مقابل احتلالهم المستمر لمسقط.

أما حملة ناصر بن مرشد التالية فقد كانت موجهة ضد جلفار، رأس الخيمة حديثاً، على الساحل العربي والتي كان يحتلها كل من فرس هرمز والبرتغاليون بشكل مشترك. وبعد الاستيلاء على ذلك المكان أمر ببناء قلعة على الساحل قرب صحار بغية مراقبة مناورات البرتغاليين والرؤساء المحليين المستائين والذين استقروا هناك. وقد شن هجوماً في نفس الوقت على قلعة صحار (٤٢) التي دافع عنها

٤١- بسبب الخطأ اللغوي أساساً هناك فوضى كبيرة في أسماء الأشخاص الرئيسيين المعنيين بهذه الأحداث في لوى كما هو موجود في ص ٦٣،٦٤. فمحمد بن جبر في السطر الثالث عشر من الصفحة السابقة يدعى الجبري بينما كونه شقيق سيف بن محمد الهلالي فلا بد أن ينتسب إلى نفس القبيلة. مرة أخرى في السطر الخامس من ص ٦٤ يشار إلى سيف بن محمد الهلالي بأنه ينتسب إلى نفس القبيلة. مرة أخرى في السطر الخامس من ص ٦٤ يشار إلى سيف بن محمد على أنه من الهناوية وليس من قبيلة بني هلال. (والحقيقة أنهما من بني تميم من الظاهرة).

٤٢- تحتل قلعة صحار أرضاً مرتفعة صغيرة في المدينة. ويكون مدخلها بواسطة جسر يعبر فوق خندق مائي يؤدي إلى بوابة داخلية كبيرة. وقد

البرتغاليون ولكنهم عجزوا عن منع بناء القلعة الجديدة التي أكملت تحت حماية حراسة قوية.

بعد أن رفض البرتغاليون في مسقط أن يدفعوا الجزية المحددة بعث الإمام جيشاً ضدهم لإجبارهم على دفعها وفي مطرح زار نائب عن البرتغاليين قائده يطلب السلام فتم الدخول في اتفاق يتوجب على الطرف الأخير بموجبه دفع الجزية بشكل منتظم في المستقبل وتسليم بعض المواقع العسكرية في مطرح والسماح لكل الذين لاذوا إلى الساحل بالمتاجرة بشكل حر، ووقف الاعتداءات ضد الإمام وتسليم جميع التحصينات الخارجية لمسقط إليه. إن هذه التنازلات لم تمنع الإمام على أية حال من مهاجمة البرتغاليين في صور وقريات حيث نجح في طردهم من كلا الموقعين.

لقد تعثرت نهاية مسيرة الإمام ناصر بن مرشد بمشاكل جديدة في الظاهرة أثارها وحرضها ناصر بن قطن الهلالي الذي بعد أن هزم في محاولته ضد البريمي سار بجيش نحو الجنوب. لقد قوبل في كل النقاط من قبل الإمام الذي نجح في قمع العصيان ولدى موته في عام ١٦٤٩م أصبح سيد المنطقة برمتها عدا أبراج وتحصينات مطرح ومسقط وقلعة صحار. إن القصة التي رواها مؤرخه باعتبارها " حقيقة معروفة" وهي "أن أي شخص، كبير أم صغير" لم يمت موتاً طبيعياً خلال فترة حكمه التي دامت ست وعشرين سنة، هي قصة غير ضرورية لتثبيت شهرته كواحد من أشهر حكام عمان إذ أنه عزز قوة الإمامة ومارس نفوذاً كبيراً على البلد، بل أكبر من أي من أسلافه. لقد

وضعت على جدران الحصن قطع صغيرة قليلة من المدفعية كما وضع مدفع ضخم كامل أمام المدخل... وكانت متاريس المدينة محفوظة بشكل جيد ومجهزة من جانب البحر بقطع قليلة من المدفعية "بلكريف"، وسط وشرق الجزيرة العربية ، جـ ١١ ص ٣٣٢ – ٣٣٣.

كان مقتصداً في نمط حياته وكانت سمعته بالورع دون شك مصدر شعبيته لدى القبائل والتي لا تزال تعتبره ذا فضائل خارقة.

لقد خلف ناصر ابن عمه سلطان بن سيف الذي شرع مباشرة بعد انتخابه بالتحرك من الرستاق بجيش كبير مقرراً طرد البرتغاليين من مسقط. وقد عسكر قرب مدينة مجاورة لمطرح ومن هناك قام بعدة هجمات على مواقع العدو غير أن البرتغاليين في كل مكان كانوا متأهبين وردوا المهاجمين في كل النقاط على أعقابهم. ربما كان لهذه الحرب المتقطعة أن تطول إلى مالا نهاية لولا خيانة تاجر من البانيان يدعى ناروتم الذي كان يحتل منصب العميل العام للبرتغاليين والذي أصر القائد باريرا إلا أن يتخذ ابنته زوجة له. وبعد أن نجح ناروتم في تأجيل الزواج المزمع مدة سنة فكر ناروتم في خطة لإحباط ذلك بالكامل. فقد أقنع القائد أولاً في إفراغ حاويات الماء في الحصنين وإفراغ مخازن التجهيز وإبعاد البارود تحت ذريعة أن الحصار قد يطول وإن الاحتياطات لا بد أن تتخذ للحصول على تجهيزات جديدة بدلاً عن القديمة ثم كتب سراً إلى الإمام يخبره عما كان قد قدم به حاثاً إياه على مهاجمة المكان يوم الأحد، حين تكون الحامية مشغولة بالترفيه. والإمام الذي استفاد من هذه المعلومات قاد جيشه على المرتفعات في اليوم المحدد وهاجم أول الأمر جدران المدينة "ولم يقابلهم أي من البرتغاليين ولم يكن هناك سوى سكارى مترنحين عاجزين عن إطلاق النار أو استخدام بنادقهم أو الرمي بصورة عشوائية". ومن المدينة مضوا إلى الحصنين اللذين كانت مدافعهما دون فائدة أما ناروتم فقد كان يبعث بالذخيرة وبعد اشتباك بالأيدي تم الاستيلاء عليها. وقام "محارب شهير يدعى كابريتا" بمحاولة يائسة لقلب المعركة لصالحه وذلك بأن اندفع إلى المدينة مع مجموعة

من اتباعه إلا أنه هزم من قبل عدد من الناس الذين قتلوه بالحراب. وهكذا كما يروي أحد المؤرخين الورعين "خلص الله المسلمين منه ومن جماعته.

إن تاريخ الاستيلاء على مسقط من البرتغاليين لم يتأكد بشكل صحيح. لسوء الحظ فات مؤلفنا أن يسجل ذلك. ولكن الحكم من التسلسل الزمني للأحداث الأخرى التي حدثت خلال عهد سلطان بن سيف (أنظر الملاحظة ص ٨٩ ثبته بين عام ١٦٥١ – ١٦٥٢).

كان هناك زورقان برتغاليان حربيان يحومان على الساحل قرب مسقط حين وقعا بيد جماعة كان الموت لديهم من الشهد فهاجموها بزوارق صغيرة ودمروهما وقتلوا طاقمهما. إن الإمام الذي ألهبته هذه النجاحات في عمان نظم الجهاد وحمل الحرب إلى أرض العدو. فهاجم ديو ودامان على ساحل كوجرات محدثاً رعباً كبيراً للبرتغاليين، حاملا معه مغانم كبيرة بما في ذلك زوارق محملة بالذهب والفضة وصوراً تعود إلى الكنيسة. وبعد أن ارتاح من كل خوف للغزو الخارجي حول اهتمامه إلى الشؤون الداخلية ويسجل له بشكل خاص أنه عزز التجارة وبعث وكلاء إلى أقطار مختلفة لغرض الحصول على تجهيزات السلاح والخيول وغيرها حيث كان عليها طلب كبير بين أتباعه. فقضى اثنا عشرة سنة لجمع "أكداس من الذهب والفضة" لبناء القلعة الشهيرة في نزوى، ثم مات والناس يتأسفون لموته في الحادي عشر من تشرين أول عام ١٦٦٨م حسب تصحيحي لتاريخ خطأ قدمه المؤلف أو الكاتب. فدفن مثل سلفه في نزوى.

لقد خلف سلطان ولده بلعرب بن سلطان الذي أشير إلى أنه نصير كبير للعلم إذ أسس وأقام كلية في جبرين (٤٣)حيث أقام فيها غير أن عهده الذي دشنه تعكر بمنافسة شقيقه سيف الذي جمع العديد من المؤيدين من بين الفقهاء الورعين والشيوخ في عمان فتلا ذلك حروب بين مؤيدي الشقيقين جلبت لبلعرب لقب "الجزار" ولسيف لقب "سوط العرب". ولا يتضح من منهما كان الأكبر سناً ولا على أية أسس كان هناك اختلاف في الرأي بين أي منهما بادعائه بالإمامة. على أية حال لقد أجبر بلعرب على اللجوء إلى قلعته جبرين حيث انتهى حسب طلبه كما يشير المؤلف. ولدى موته تسنم سيف السلطة وافتتح عهده بطرد البرتغاليين حوالي ١٦٩٨م من ممباسا وجزيرة بمبا وكلوا وأماكن أخرى على الساحل الشرقي من أفريقيا حيث كان عرب عمان قد شكلوا مستوطنات منذ بواكير القرن السابع (انظر الملاحظة السابقة ص ١٣). وكان لسيف بحرية كبيرة تحت قيادته : وقيل إن إحدى السفن تحمل ثمانين مدفعاً كبيراً، "وكل مدفع بعرض ثلاثة أشبار في المؤخرة" - أي في المحيط كما يفترض - أما أعماله الأكثر فائدة فهي إصلاح العديد من القنوات الرئيسية وزرع بضعة آلاف من أشجار النخيل والزعفران في أجزاء مختلفة من البلاد (٤٤).وقد توفي في الرستاق في الرابع من تشرين أول ١٧١١.

٤٣- يطلق جورج برسي بادجر اسم "يبرين" والصحيح "جبرين" وهي مدينة في عمان الداخل - الجوف (المترجم).

٤٤- إن هذه القنوات ومجاري المياه التي تدعى الأفلاج (المفرد فلج) موجودة في مختلف مناطق البلاد. ولدى وصفها يقول ويلستيد أن الواحات ومدن عمان "تدين بالفضل عموماً للأسلوب السعيد الذي توفر للناس في إدارة المياه لديهم. وهو نموذج، حسب معرفتي خاص بهذا البلد وهو على حساب العمل والمهارة فارسي أكثر من كونه عربي. إن الجزء الكبير من سطح الأرض خالي من الجداول السطحية فالعرب كانوا يبحثون في الأماكن

وخلف سلطان بن سيف الثاني ، والده وانتقل من الرستاق إلى الحزم حيث بنى حصناً قوياً. وتبدو إنجازاته شبه الحربية محدودة بالخليج العربي حيث واجه الفرس في عدة نقاط وانتزع منهم جزيرة

المرتفعة عن ينابيع وعيون تحتها. لكن بأي وسيلة كانوا يكتشفون ذلك، لا أعرف، لكن يبدو أنها محدودة في طبقة من الناس ممن عمل في البلد لأجل هذه الغاية وشاهدت العديد منها بعمق أربعين قدماً. إن قناة من هذه العين وبانحدار قليل تمضي في الاتجاه الذي يراد أن تنقل الماء إليه تاركة فتحات على مسافات منتظمة لتوفير الضوء والهواء لأولئك الذين يقومون عادة بتنظيفها. وبهذه الطريقة يجري الماء عادة لمسافة ستة أو ثمانية اميال ويتم الحصول على تجهيز غير محدود منه. عرض هذه القنوات حوالي أربع أقدام وبعمق قدمين وتحتوي على جدول سريع صافي. وقليل من المدن أو الواحات الكبيرة لديها أربع أو خمس من هذه الافلاج تجري فيها المياه. أما المناطق النائية التي ينقل إليها الماء فلديها تربة خصبة بحيث أن أية حبة قمح أو فاكهة أو خضرة مألوفة في الهند أو الجزيرة أو فارس تنتج في نفس الوقت. أن قصص الواحات لم يعد أخذها بنظر الاعتبار كمبالغة لأن خطوة واحدة يمكن أن تنقل المسافر من فوق رمل الصحراء إلى أرض خصبة تسقيها مئات العيون وعلى جوانبها المزارع النظرة". رحلات في الجزيرة العربية، جـ ١ ، ص ٩٢-٩٤. أن هذه القنوات التي يعتقد ويلستيد أنها خاصة بعمان هي مألوفة في فارس حيث تدعى خاريز خاهريز. وهكذا يصف بيركنز عملية صنعها: "يتم حفر بئر إلى مستوى نازل حتى يتم إيجاد الماء ثم يتم حفر قناة من العمق وتحت الأرض نزولاً بشكل كاف لنقل الماء على طول القناة. وعلى مقربة بضعة ياردات يتم حفر بئر ثانية بحيث قد يتم سحب التربة أثناء الحفر تحت الأرض وتعاد نفس العملية حتى ينتقل النبع إلى السطح ويروي الحقول المجاورة. أن السرعة التي تحفر بها هذه الابار مدهشة حقاً. فرجلان – أحدهما في الأعلى وبيده مرفاع يدوي وسطل جلدي لرفع التربة والآخر في الأسفل مع فأس حديدي لها عصى قصير لغرض الحفر وهناك ملعقة حديدية هائلة لغرض مليء السطل – يعملان في الحفر لمسافة عشرين إلى خمس وعشرين قدماً في اليوم. "الإقامة في فارس" ، ص ٤٢٦، اندوفر، الولايات المتحدة ١٨٤٣.

البحرين (٤٥)، (ص ٩٤) التي احتلوها بعد طرد البرتغاليين وحامية تابعهم لهرمز من الجزيرة من قبل شاه عباس عام ١٦٢٢م بمساعدة أسطول يعود إلى شركة الهند الشرقية. وعند وفاة سلطان بعد حكم قصير دامت سبع سنين برزت معارضة كبيرة بين السكان حول من يخلفه. فالعوام كانوا إلى جانب انتخاب ابنه سيف الذي كان صبياً آنذاك بينما أيد "العلماء والأتقياء" شقيق سيف الأكبر، على أساس أن " إمامة الطفل غير مناسبة بأية حال، فمثل هذا الإمام لا يمكن أن يؤم في الصلاة فكيف إذن يمكن أن يرأس دولة ويقوم على شؤون الإدارة ويكون بحوزته ثروة وعائدات البلد وليس من المعتدل أن ينصب مسؤولاً على أموال الله أو أملاك اليتامى والغائبين إذ لا يمتلك زمام نفسه فكيف يمكن أن يمارس السلطة على الآخرين؟" (ص ٩٩). إن الشيخ عدي بن سليمان، على أية حال الذي يبدو كان أكثر شخصية مؤثرة في ذلك الوقت وخشية من قيام ثورة هدأ الحشد بمراوغة لغوية. فقد أعلن أن سيف بن سلطان (أماماً) وهي كلمة من نفس جذر كلمة (إماماً) لكن معناها مختلف (أنظر الملاحظة ١ ص، ٨). بعد فترة قصيرة قدم مهنا الشقيق الأكبر إلى الحصن متسللاً حين أسبغت الإمامة عليه من قبل الرؤساء عام ١٧١٨م.

بدأ مهنا إدارته بإلغاء ضرائب الجمارك في مسقط وغيرها من الأمور المعيقة للتجارة. وكان البلد في حالة ازدهار كبيرة. غير أن عهده انقضى بسرعة عن طريق مؤامرة مشتركة لقبيلته، اليعاربة ومواطني الرستاق الذين دعوا يعرب بن بلعرب بن سلطان، ابن عمه

٤٥- رغم أن المؤلف يوضح انه استولى على " البحرين" إلا أنه يتضح من جزء تال من الرواية أن الجزيرة الآن تدعى بهذا الاسم وليس المنطقة الواقعة في الوسط التي كانت تحمل في السابق نفس الاسم.

الثاني، لكي يحل محله. لقد نجح يعرب في الاستيلاء على مسقط التي أصبحت الآن واحدة من أهم الأماكن في البلاد، أما مهنا الذي أدرك أنه عاجز تماماً فالناس بقيت لا تسمع نداءاته لأجل المساعدة – فقد أغلق على نفسه القلعة في الرستاق حيث حوصر من قبل الطرف المناهض.

واعتمادا على وعد بالعفو من يعرب غادر القلعة حيث "ترك الإمامة فعلاً، غير أنه ألقي القبض عليه عقب ذلك بمعية رفاقه من قبل رجال يعرب وقتل غدراً في السجن عام ١٧٢٠م بعد حكم دام أقل من سنتين.

أما يعرب فلم يدعي بالإمامة "لأن ذلك من حق ابن عمه، سيف ابن سلطان" الذي تم انتخابه. لكونه دون السن القانونية فقد اعتبر "عاجزاً عن إدارة الحكم". على أية حال لقد تسلم الوصاية ثم بعد فترة وجيزة رفع منصب الإمامة من قبل مجلس الرؤساء برئاسة القاضي عدي بن سليمان. أما الاعتبارات التي تم تبرير هذا العمل بموجبها فتقدم رؤيا هي مزيج من القانون المدني والتعاليم الدينية التي سادت آنذاك بين العمانيين. فالقاضي أعلن أن يعرب بريء من ذنب العصيان وأعفاه من تقديم التعويض عن الأخطاء التي كان قد ارتكبها، على أساس أن "التوبة تبرئ النادم". (ص ١٠٢).

لم يمض يعرب وقتاً طويلاً في الحكم عندما حدث رد فعل أضر بمصالح سيف بن سلطان الذي كان حينئذ في نزوى تحت وصاية عمه بلعرب بن ناصر. ولدى التوسل الجاد للمستائين ترك بلعرب نزوى ومضى لكسب عطف القبائل لصالح ابن أخيه. لقد استمال الهناوية وذلك عن طريق تنازلات مناسبة ونجح بمساعدتهم في طرد والي يعرب من مدينة الرستاق المهمة.

كما كسب ولاة مسقط والمدن الأخرى لصالح قضيته مما أجبر منافسه اللجوء إلى القلعة في نزوى. في أثناء ذلك لجأ القاضي عدي ابن سليمان الذي كان الشاهد الرئيسي في انتخاب يعرب في الرستاق حيث قبض عليه وقتل بمعية قاض آخر الذي ربما عمل كزميل له، ولدى تدخل عدة رؤساء وافق يعرب على إخلاء نزوى بشرط السماح له بالتراجع إلى حصن جبرين والبقاء هناك دون مشاكل. وبعد الموافقة على هذه الشروط تم إطلاق تحية من قلعة نزوى إعلاناً للمرة الثانية بإمامة سيف بن سلطان.

ندخل الآن إلى مرحلة جديدة تماماً في التاريخ العماني. فبلعرب بن ناصر بعد أن عين وصياً لصالح ابن أخيه جاءت رؤساء القبائل والمدن لتهنئته. وجاء بينهم محمد بن ناصر من بني غافر «انظر ما سبق (ص ١٠،٩) كممثل عن القبائل الشمالية عموما التي حتى هذه الفترة كانت تعترف بسلطة الإمام. ولتأثره السريع بسوء الاستقبال ترك العاصمة غاضباً ودخل في مراسلات مع يعرب، الإمام المخلوع وكذلك مع سكان بهلاء للثورة ضد بلعرب. وتبع ذلك سلسلة من الصراعات بين الطرفين مما أدى إلى استسلام الرستاق إلى محمد ابن ناصر الذي قبض على الإمام الصغير، سيف بن سلطان ومؤيديه الرئيسيين واحتجزوا كرهائن وأجبروهم على السير مع حاشيته أينما ذهب.وسرعان ما سمح لجيشه بالدخول إلى الرستاق ونهبها مرتكباً جميع أنواع الاعتداءات ضد السكان الذين اندفعوا للبحث عن مأوى في الجبال المجاورة حيث مات مائة طفل وامرأة من العطش في الكهوف. كما أخذوا أسرى وأرسلوهم خارج البلد. وعند وجوده في الرستاق تضاعفت قوة محمد بتعزيزات بلغت ٦٥٠٠ رجل بصورة رئيسية من جلفار والسر. وكان من بين هؤلاء أتباع "رحمة بن مطر

(انظر الملاحظة ،ص ١١١). في أثناء ذلك مات يعرب الذي وضع في المقدمة كرئيس للعصيان في نزوى. وأدت هذه الحادثة إلى رفع محمد ابن ناصر إلى موقع أكثر أهميةً وأصبح في وقت قصير سيد كل الحصون في عمان باستثناء مسقط وبركاء. فالمكان الأول كان ما يزال بيد اليعاربة ولكن بنو هناة قد طردوهم. في هذا المفترق قام خلف بن مبارك، الملقب بـ (القصير) وهو رئيس بارز من الهناوية ولدى سماعه أن محمد بن ناصر قد هدد بركاء بالسيطرة على ذلك الحصن وأمر بقتل رسول محمد الذي بعثه ليطلب منه الاستسلام. ورغبة في الانتقام قسم محمد جيشه إلى خمس فرق وسار إلى المصنعة وهي قرية على الساحل تبعد اثنا عشر ميلاً جنوب شرق السويق حيث أقام معسكره. وقد بعث بالكشافة للاستطلاع وبعد بضعة مناوشات مع مواقع العدو وقتال دار بين رئيسين تحالفا مع طرفين متناقضين في الصراع والذين انتهزوا هذه الفرصة لتسوية العداء الدائم تحرك محمد ابن ناصر إلى بركاء بقوته الرئيسية فاستولت فرقة منها – وهي فرقة رحمة بن مطر "على المدافع التي سحبت على الأرض". وقد أجبر أتباع خلف على التراجع إلى الحصن حيث فرض مهاجموهم الحصار عليهم وأرسلت فرقة لتطويق السيب، بين بركاء ومسقط حيث تمكن خلف نفسه من الهرب إلى المكان الأخير.

وإزاء الشروط التي خذلت المحاصرين عاد محمد بن ناصر معهم إلى الرستاق حيث داهمه مرض الجدري. ولدى شفائه مضى إلى الظاهرة وأخذ معه سيف بن سلطان، الإمام الشاب، وحاشيته من اليعاربه تاركاً بلعرب بن ناصر، العاهل السابق هناك. أن الحملة الناجحة ضد القبائل والحصون المعارضة له في تلك المنطقة قد مكنته من طرد العديد من التابعين الاحتياط.

وبينما كان محمد بن ناصر غائباً في المهمة أعلاه، جمع خلف ابن مبارك الهنائي "القصير" جيشاً وهاجم الرستاق التي استولى عليها مما حدى بأهلها إلى الخضوع. ثم ذهب بعدئذ إلى نخل التي استسلمت له وفي أثناء ذلك استولى أحد أشد أتباعه ولاء على صحار. إن هذه الإنجازات من جانب منافس محمد جعلته متلهفاً للوصول إلى الرستاق، بيد أنه رأى أن من الحكمة تأمين حصن جبرين (يبرين)(٤٦) على الطريق إلى هناك وبينما كان يحاصر هذا المعقل حاصر خلف الحزم. وبعد أن استدعى محمد بعض مساعديه هاجم القوة المحاصرة فشتتها لكن لدى شعوره أنه ليس قوياً بشكل كاف لمهاجمة الرستاق قام بزيارة الظاهرة مرة أخرى حيث كانت العديد من المدن قد ثارت ضد سلطته. وبعد أن عمل على استقرار الأمور هناك عاد إلى نزوى وقضى ستة أشهر في تجنيد جيشه. ثم بعد ذلك قام بعدة غارات على مناطق بنو هناه الذين من جانبهم كانوا قد دعوا حلفاءهم لمساعدتهم من كل حدب وصوب.

على أية حال برهن محمد على قوته بالنسبة لهم ونجح في دفع خلف جنوباً حتى عبري حيث رحب به الحرث غير أن الغزاة مضوا في قطع أشجار النخيل – وهذه هي إحدى استخدامات الحرب المألوفة، بين قبائل عمان – ولأجل تأمين عدم حدوث إزعاج أكثر قاموا بطرد اللاجئ الذي بناءاً على ذلك مضى في طريقه إلى مسقط. ولدى عودة محمد بن ناصر إلى نزوى جمع العلماء معاً ووضع استقالته بين أيديهم وحلف أنه غير راغب بالاستمرار في التنافس. على أية حال إن

٤٦- يشير الراحل العقيد تيلور إلى محمد بن ناصر تحت اسم "محمد الغافري" أمير جبرين" ويكتب نيبور وويلستد الاسم "جبرين" يبدو أن ويلستد قد زار المكان كما هو مؤشر على خط طريقه، بحوالي ثلاثين ميلاً إلى جنوب شرق نزوى إلا أنه طمس كل ذكر له في روايته.

الناس الذين كانوا يخشون من انتقام خلف توسلوا إليه تسنم السلطة. ولدى حصوله على وعدهم له بالولاء وافق على طلبهم فانتخب إماماً في الثاني من تشرين أول ١٧٢٤. وفي الجمعة التالية تبوأ منصبه كما هي العادة بإمامته الصلاة في نزوى. لقد كانت الأمور في تلك الفترة كما يلي:- لقد ساءت علاقة الغافرية وحلفائهم ضد اليعاربة والهناوية وغيرهم من القبائل اليمنية. حيث أنهم رأوا واحداً منهم يصعد إلى أعلى منصب في عمان. وأن ممثلهم محمد بن ناصر الإمام المنتخب حديثاً كان سيد نزوى وأغلب الظاهرة وأخضع لسلطته شخص الإمام الصغير، سيف بن سلطان وأتباعه الرئيسيين من اليعاربة والذين قادهم إلى جبرين حيث أقام. أما خلف، زعيم الهناوية وأبرز منافسي محمد فقد استولى بمساعدة اليعاربة المطرودين على مسقط وبركاء والسيب وصحار وهي الأماكن الأكثر أهمية على الساحل وكذلك الرستاق العاصمة الداخلية.

وفي الحال وجد محمد بن ناصر أن انتخابه للإمامة قد أثار غضب خصومه ولم يهدئ عداءهم له. فقد أجبر على النزوح إلى القبائل الشمالية مرة أخرى طالباً للمساعدة ومضى بجيش كبير إلى صحار التي أعلنت خضوعها في الحال، غير أن القلعة صمدت ضده. في أثناء ذلك كان خصمه القديم خلف بن مبارك متيقظاً بانتظار كل فرصة لإحباط مناوراته. إن خلف الذي يأس من أن يكون ندا له في معركة مفتوحة لجأ إلى الاستراتيجية التي برهنت على نجاحها عملياً. فبعد أن قاس مزاج حلفاء محمد والتعاليم المفروضة على الإمام الجديد بفرض العدالة بحيادية شديدة قام برشوة مزارع فارسي في صحار بإلقاء تهمة التجاوز على حقوله ضد رجلين من كل القبائل الشمالية الرئيسية الثلاث، بنوياس، بنو نعيم وبنو قتب. استمع محمد إلى الشكوى

شخصياً وعرض أن يعوض المدعي، إلا أن الأخير الذي عمل حسب إقتراح خلف رفض وطالب "بالعدل" علناً. وعليه تقدم رؤساء المتهمين وأكدوا براءتهم. لكن رغم تدخلهم أمر أن يضرب الرجال بالسياط وهو أمر تنفر منه القبائل الشمالية وبان تغادر المعسكر نفس الليلة وتعود لوطنها تاركة محمد مع مجنديه العمانيين في مواجهة خلف الذي برز بعد فترة وجيزة في الميدان ضده. وفي المعركة التي تلت قتل خلف ولوحق أنصاره. وباستثمار هذه الأفضلية مضى محمد إلى القلعة حيث سحبت فرقة من الحامية لمقاومة دخوله. وخلال الصراع الذي تبع ذلك قتل برصاصة أطلقت عليه من على جدران الحصن. وعلى مدى ثلاثة أيام بقي مصير قادتهم سراً بالنسبة للمتخاصمين من كلا الطرفين. ولكن حيث لم يعد بالإمكان إخفاء ذلك عاد مجندو محمد إلى ديارهم وبناءاً على ذلك اعترفت الحامية في صحار بسيف بن سلطان الذي كما سنذكر كان يصاحب محمد بن ناصر دائماً وأدخلته إلى الحامية. ومن هناك مضى إلى الرستاق حيث بايعه الناس، ومن ثم إلى نزوى حيث نصبه القاضي إماماً مرة أخرى عام ١٧٢٨ بعد أن أصبح في عمر النضوج.

وما كاد سيف بن سلطان يستعيد مجده السابق عندما انتخب بلعرب بن حمير – الذي يبدو أنه عمه- إماما من قبل فئة من سكان الظاهرة. وبعد أن وجد سيف عقب محاولتين أو ثلاثة غير ناجحتين أنه عاجز عن مواكبة خصمه بعث إلى مكران وجند فئة من البلوش المسلحين جميعاً ببنادق لأجل معاونته. (٤٧) وبعد أن وضع هؤلاء

٤٧- هذا هو المثال الأول المسجل عن المجندين من مكران للخدمة في عمان. ثم تطورت التجربة بالتدريج إلى عادة وأصبح البلوش الذين يتقاضون أجورهم من الأئمة والسادة التالين مشهورين بشجاعتهم وإخلاصهم.

تحت إمرة شقيقه، بلعرب بن سلطان، أبيدوا حتى آخر رجل في معركة مع بلعرب بن حمير. ولدى سماعه بهذه الكارثة الجديدة لجأ سيف كملاذ أخير إلى نادر شاه في فارس الذي وعد في الحال بمساعدته. وفي أثناء ذلك وبغية اختبار عزم العاهل العماني – كما تشير القصة- بعث له بحصان حرون على أساس أن حربه ستكون جيدة فقط إن أبدى قدرة على امتطاء الجواد. وتمت المحاولة في وادٍ وراء مسقط وقد أبلى الإمام الشاب بلاءً حسناً أمام دهشة رسول الشاه والمارة بأن امتطى الجواد وسار به عدة مرات حول الوادي حتى قفز أخيراً فوق جدار المدينة وكسر رجليه وسقط الفارس على قدميه دون أذى. وفي هذه الفترة عندما قيل أن سيف بن سلطان قد خسر كل صديق يمكن الاعتماد عليه في تقديم المشورة أوصى بعض أتباعه بأحمد بن سعيد من عائلة البوسعيد باعتباره رجلاً شجاعاً وجديراً بثقته. وتبقى سمعة أحمد التي خوله إياه أسلافه هي موضع تأمل بالنسبة لنا. فبالحكم من خلال رواية مؤلفنا بأنه كان يعمل – بالتجارة التي كانت في طريقها إلى مسقط حينما التقى مصادفةً مع الإمام الذي كان مسافراً في اتجاه معاكس نحو الرستاق. وعقب ذلك بعثه سيف لتنفيذ بعض المهام له في الأحساء وجعله والياً أو حاكماً على مدينة صحار المهمة.

أما إدارة أحمد فقد جذبت له تقدير السكان في الحال كما أن سياسته الحكيمة والمتسامحة نحو قبائل الشمال عموماً بما في ذلك قبائل الظاهرة قد جعلته ذي شعبية عالية لدى جيرانه الذين ناصروه. إلا أن شكوك سيف قد أثيرت فاستدعاه إلى مسقط وأعطى أوامر سرية بحبسه في الحصن الشرقي حال وصوله فأطاع أحمد الأمر ووصل إلى مسقط يصاحبه خادم واحد فقط. ولكنه ولحسن الحظ أعلم بالمصير الذي ينتظره وذلك من قبل جد المؤلف فعاد إلى صحار

مستاءاً وصب جام غضبه على الموظفين الذين أعطيت التعليمات لهم بإلقاء القبض عليه وكذلك على الشخص الذي حذره من خطره. ونظراً لفشله في هذه المحاولة أعد سيف أسطولاً من أربعة سفن حربية رست أمام صحار وبعث برسول لاستدعاء أحمد ليمثل بين يديه. فمضى الأخير طبقاً لذلك في زورق صغير لكن حين اقترب زورق الإمام لوح له بعض العبيد بالعودة أدراجه. ونزولاً عند هذه الإشارة الودية جرف قاربه نحو اليابسة ولم يهتم بالاتصالات معه. وبعد فترة وجيزة ومن خلال تدخل العديد من الرؤساء تم إحلال الصلح بين سيف وأحمد حيث وافق الأخير على ترك ابنه الأكبر هلال بين يدي الأول وذلك عهداً بولائه. ولدى وصول الفرس إلى بندر خورفكان في العاشر من آذار ١٧٣٧ أعاد الإمام هلال إلى أبيه ومضى بنفسه إلى الصير – التي أحددها بأبو ظبي- في خرائطنا على الجانب الغربي من النتوء الجبلي – حيث كانت السفن الفارسية قد أبحرت في أثناء ذلك.

إن وصول الفرس والدور الذي اتخذه سيف بن سلطان في التماس مساعدتهم شكل موضوع احتجاج غاضب موجه من قبل أحد أعيان عمان الذي لم يذكر اسمه وبعد أن يوضح له أن أصحابه الحاليين دفعتهم شهوة الاحتلال حسب رأي الكاتب للضغط على الإمام حول ما ستؤول إليه النتائج الخطيرة في حال نجاحهم وتساءل بأي حق وضع المسلمين تحت طائلة خطر أن يحكمهم أناس ليسو من أهل البلد، وذكره باستيلاء هؤلاء المحتلين على جزيرة البحرين والتجاوزات التي ارتكبوها هناك وأنهى رسالته الحماسية تلك بأن طلب من الإمام أن يتحمل وزر هذا التحالف ويعتمد على الورع والوحدة في دعم عدالة قضيته.

لدى الانضمام إلى الفرس في الصير مضى سيف معهم نحو الظاهرة حيث التقوا في مارس ١٧٣٦ بالإمام المنافس بلعرب بن حمير الذي كان قد جمع قوة كبيرة لمقاومة الغزاة. وأدى الاشتباك بين الجيشين إلى هزيمة منكرة للعمانيين وتقدم الفرس إلى البريمي التي احتلوها وساروا من هناك إلى الداخل حتى وصلوا إلى عبري حيث ذبحوا السكان دون تمييز وقذفوا بالأطفال من الجسور وألقوا القبض على العديد من النساء حيث أرسلوهن إلى شيراز ثم عادوا بعد ذلك إلى الصير . ولما رأى سيف تصرفهم هذا انفصل عنهم وبعد أن تصالح مع العديد من المدن في الطريق وصل مسقط بأمان.

أما الفرس الذين انضمت لهم تعزيزات من شيراز فقد تقدموا مرة أخرى إلى الداخل وبعد أن قدمت لهم قبائل الظاهرة الولاء تقدموا إلى بهلاء حيث استولوا على هذا المكان وتحصنوا فيه ثم ذهبوا إلى نزوى واستولوا عليها أيضاً فهرب بلعرب بن حمير الذي كان قد احتلها غير أن الحصن صمد بوجههم. واتسم تقدمهم هناك بنفس الأعمال الوحشية. وساروا من نزوى إلى إزكي ومن هناك نحو ساحل البحر وتحولوا باتجاه مسقط التي احتلوها باستثناء اثنين من حصونها الرئيسية. وقد حاصروا هذين الحصنين حتى الخامس عشر من مارس عام ١٧٣٨ ثم شرعوا نحو بركاء حيث سبقهم سيف بن سلطان بنفسه ومن هناك كان قد ذهب إلى الداخل نحو الظاهرة تاركاً حامية من المعاول للدفاع عن الحصون. وفي لقاء بينه وبين بلعرب بن حمير فإن الأخير اقتنع من قبل بني غافر (مؤيديه الرئيسيين) بالاستقالة من الإمامة وإعطائها إلى سيف "لأجل معالجة الفرقة والتنافس ولأجل أن يتحدا كلاهما ضد العدو المشترك – الفرس".

أما الفرس فقد عجزوا أمام بركاء عن الاستيلاء على الحصون وتعسكر رجالهم في بهلاء ولم يسمع عنهم شيء فتم إرسال فرقة من مائة فارس للاستقصاء عما كانوا يفعلون.فضربت هذه في الطريق من قبل العمانيين الذين زادهم النجاح جرأة فهاجموا حاميتهم في بهلاء وطردوهم وسمحوا لهم بالرحيل مع أسلحتهم وأثاثهم. وقد أعد لهم الإمام سيف بن سلطان حماية رافقتهم حتى صحار والتي حوصرت في ذلك الوقت من قبل الفرس. غير أن أحمد بن سعيد قتل أغلبهم وسجن البقية في القلعة حيث ماتوا. ولعل هذه الهزائم قد أقنعت الفرس بمغادرة بركاء إلى الصير ومن هناك عاد قسم منهم إلى بلدهم بحيث تخلصت عمان منهم باستثناء فرقة كانت تحاصر صحار. وكانت الحاميات عموماً تفضل سيف بن سلطان ومع ذلك فإن شيوخ بعض المدن الرئيسية قد استغلوا هذه الفرصة لخلعه فعلاً وذلك بإبراز منافس للإمام هو سلطان بن مرشد من اليعاربة. والتقليد المعاصر لذلك يصف سيف بن سلطان غير شعبي بين الجزء الأكبر من المجتمع الديني فنصب الأمام الجديد في الجامع في نخل عام ١٧٣٨.

لقد توجهت جهود سلطان بن مرشد الأولى ضد سيف بن سلطان الذي لاحقه من مكان لأخر حتى طرده من مسقط واستولي هو على هذه المدينة.فلجأ سيف مرة أخرى إلى الفرس في الصير ووعد أن يعطيهم صحار إلى الأبد إن نجحوا في إعادة تنصيبه في الإمامة. وبموجب ذلك حاصر الفرس ذلك المكان بحراً وبراً وأفردوا قوة كبيرة ضد حصون مسقط واستولوا عليها وكذلك الحصن في مطرح والدفاعات الأخرى القريبة منه.

أما سيف بن سلطان الذي خاب أمله بعد أن وجد أن حلفائه الأجانب لم يكونوا ينزعون إلى نقل فتوحاتهم له فقد تركهم سراً إلى

الحزم ولدى دخوله ذلك الحصن أشار مخاطباً أحد ضباطه: "هذه قلعتي وقبري".

استمر الفرس بحصار صحار مدة تسعة أشهر بجيش قيل أنه بلغ (٦٠٠٠٠) رجل وبلغ ما أطلقته قواتهم البرية (٣٠٠٠٠) قنبلة مدفع على الحصن كل يوم – وللقارئ أن يسمح لخياله ما يشاء بشأن المبالغة في هذه الأرقام – بينما قام أحمد بن سعيد بالهجوم بشكل متكرر قاتلاً كما يذكر المؤلف ما أستطاع من الأعداء. وقام الإمام سلطان بن مرشد من ناحية أخرى ولدى سماعه بالاستيلاء على مسقط ومطرح من قبل الفرس بتجنيد قوة كبيرة من الرستاق والظاهرة ووادي بني غافر وسار معهم نحو الساحل وفي الطريق تركه جميع المجندون باستثناء مائتي رجل ثلاثين منهم من أبناء جلدته، اليعاربة. ولدى تقدمه بهذه المجموعة الصغيرة نحو صحار واجه موقع خيالة فارس فدفعهم القهقري إلى القوة الرئيسية من المحاصرين. وتبع هذه المناوشة معركة منتظمة قتل فيها القائد الفارسي (قلب علي) ومائة من أتباعه(٤٨).

أما من ناحية الإمام فخسائره كانت كبيرة فقد قتل جميع اليعاربة في الميدان مع خمسين آخرين معهم كما جرح الإمام نفسه جرحاً خطيراً. على أية حال لقد استطاع أن يدخل قلعة صحار عنوة حيث توفي في غضون ثلاثة أيام. وعندما وصلت أخبار موته إلى سيف بن سلطان في الحزم الذي استسلم و توفي بعد فترة وجيزة.

إن الدفاع المستميت عن صحار من قبل أحمد بن سعيد والذي صاحبه موت حليفه سيف بن سلطان قد أدى بالفرس إلى أن يقترحوا الصلح مع الأول بشرط السماح لهم بالرحيل دون مضايقة

٤٨- قلب علي. أعتقد أن ذلك صفة وليس اسماً للقائد الفارسي.

وحمل أجهزتهم وتجهيزاتهم. وبعد الاتفاق على هذه الشروط قدم مقترحاً نيابةً عن حامية مسقط. وقد أعطى أحمد إزاء ذلك جواباً غامضاً أعده مع ذلك لينقل انطباعا بالإيجاب. وبناء على ذلك شرع تقي خان القائد الفارسي بالسير بقواته إلى بندر عباس وبعد فترة قصيرة مضى أحمد مع ٢٠٠٠ من رجاله إلى بركاء التي استسلمت له بحكمه. وبغية نقل التجارة والتجهيزات من مسقط أقام دائرة جمارك هناك حققت له توقعاته بالكامل لأن السفن من جميع الأنحاء ترددت عليه. كما أن الفرس قد طردوا من مسقط وهم يعانون من ضيق شديد لقلة المؤونة. وتحت هذه الظروف بعثوا ماجد بن سلطان وهو قريب من الإمام الراحل سيف بن سلطان إلى الشاه يخبروه بموقفهم الحرج مقترحين إعادة الرسول مع رسالة تخولهم تسليم جميع المواقع التي لديهم. لقد أنجز ماجد المهمة التي عهدت إليه وحصل أحمد على رسالة الشاه مستفيداً منها بحيث أنه بعث أحد ضباطه إلى مسقط مع الرسالة أربعمائة رجل وأبلغه بأن يستلم التحصينات من الفرس. ولظن الآخرين أنه كان يعمل لصالح ماجد سلموا جميع الحصون إليه فقام بتحصينها برجاله في الحال.

تلقى مناورة أحمد التالية صفة لا يمكن محوها من ذاكرته ويمكن تبريرها جزئياً على أساس أن الانتصار اعتبر عملياً كإستراتيجية مبررة من قبل كلا الطرفين وإن عنف الغزاة استحق الانتقام الذي لحق بهم. لقد دعي الفرس إلى بركاء حيث هيأت استعدادات كبيرة للاحتفال بهم قبيل رحيلهم النهائي ووضعت أمتعة الناس مساهمة في تأمين الوليمة وجيء باللحم وأطباق الحلويات للضيوف غير المرحب بهم وسط همس استياء من قبل العمانيين ضد

أحمد وكرمه للأجانب الذين حسب رأيهم يستحقون معاملة مختلفة جداً.

وبينما اجتمع الحشد في خيامهم جلس خمسون من كبار الضباط وبدعوة خاصة أمام مائدة كبيرة ويتقدمهم أحمد. وأثناء انشغالهم أعلن أحد العوام: " أي شخص يكن المقت للفرس له أن ينتقم!" وكانت النتيجة كما هو متوقع هزيمة للفرس حتى تدخل أحمد ليسيطر على زمام الأمر إلا أن الذين هربوا كان بانتظارهم مصيراً أكثر رعباً. فقد وضعوا في سفن على أساس نقلهم إلى بندر عباس غير أن البحارة – الذين كانوا يعملون دون شك حسب تعليمات عليا- أضرموا النار في السفن ليس بعيداً عن بركاء بينما هربوا هم إلى اليابسة ناجين بأنفسهم تاركين الفرس يحترقوا أو يغرقوا. وتوج أحمد انتصاره بأن قتل جميع الضباط الذين كانوا ضيوفه في الحصن.

إن أحمد الذي ارتاح من هزيمة العدو الأجنبي ومن انكسار مكانة اليعاربة ومع الادعاءات القوية بالفضل لشجاعته ووطنيته لدى العمانيين وجد أن تبوأه السلطة العليا أمراً مفروغاً منه. فبعد أن قام بجولة الانتصار في المدن الرئيسية حيث قوبل بأعظم حماسة انتخب إماماً من قبل مجلس الرؤساء الذي اجتمع في الرستاق. إن انتقال الحكومة من اليعاربة إلى أحمد بن سعيد وهو أول حكام أسرة آل بو سعيد بعد أن كانت السلطة بيد الأسرة القديمة مدة مائة وسبع عشرة سنة- من ضمنها الحكم القصير لمحمد بن ناصر الغافري – قد حدث عام ١٧٤٤م.

بعد تبوء أحمد الإمامة أصبح أقل صعوبة اكتشاف عدة نذر شؤم تعكر عظمة مستقبله. إن سجل هذه الظواهر التي يحفظها المؤلف يمكن أن تكون علامة موضحة لطبيعة العمانيين المؤمنين باتباع الإسلام

إضافة إلى ذلك فإن بعض الشروط استثنائية. وإن شجرة نسبة فهو "السعيدي، الأزدي، العماني" أي من قبائل الأزد(٤٩)التي استوطنت عمان. وإن كان البوسعيد كما أرى، هم نفسهم بنو سعيد – فحتى ذلك الاسم ظهر فقط مرة واحدة في هذه الحوليات قبيل ظهور أحمد – فإنهم أقاموا في العقر، بضواحي نزوى وقد وصفوا على أنهم الأبرز بين سكان تلك المنطقة. أما مسيرة أحمد المبكرة كتاجر والدور الذي أتخذ عقب ذلك في الشؤون العامة حتى صعوده إلى الإمامة قد ورد ذكره في الصفحات السابقة.

لعل أول اهتمام له بتسنم زمام الحكم هو رسم جملة قواعد للدوائر المالية والقضائية والسنة المالية في الإدارة والتي وضع على رأسها مرشحين أختارهم هو نفسه. وعين مشرفاً مسؤولاً عن البحرية غير أن الشؤون العسكرية أحتفظ بها تحت سيطرته المباشرة. ولعل التجربة الشخصية قد علمته أن المجندين الإقطاعيين لا يمكن الاعتماد عليهم دائماً فأسس جيشاً دائماً صغيراً مكوناً من ١١٠٠ أفريقي و ١٠٠ جندي آخر كان يحمي به القلعة في الرستاق مزوداً كل واحد بجمل أو حصان. كما أبدى اهتماماً أكثر بالأبهة مما أبداه سابقيه إذ "متى ما سار من مكان لآخر ترفع أربعة أعلام رؤوس اثنين منها من الذهب والآخران من فضة حيث تحمل جميعاً في حاشيته وهو لا يتحرك دون مصاحبة عدد من القضاة والعلماء والأعيان ومجموعة من الأتباع". وامتدت سلطاته من تخوم جعلان جنوباً إلى البريمي في الظاهرة شمالاً بما في ذلك أراضي إلى الشرق من تلكما النقطتين حتى ساحل البحر.

٤٩- يصف بلكريف خطأ أحمد بن سعيد على أنه "من عائلة الغافرية". وسط وشرق الجزيرة، ج ٢، ص ٢٥٦. أن الغافرية كما هو مبين في ص ٩، ١٠ هم عدنانيون وليس قحطانيون. علاوة على ذلك دائماً ما كانوا على خلاف مع الازد في عمان.

لم يمض أحمد في السلطة طويلاً قبل أن تحرض قبائل النزارية وغيرها من القبائل المستاءة بلعرب بن حمير من اليعاربة والإمام السابق الذي كان قد تنازل عن إمامته لصالح أبن عمه الراحل سيف بن سلطان (ص ٤٠ و ١٤٣) كي يتمردوا ضده. في هذا الوقت كان أحمد غائباً في مهمة إلى الصير ممن هددوا بغزو صحار. وقد قتل العديد من كلا الطرفين دون أية نتيجة حاسمة.

وفي طريق العودة ترك الإمام جيشه سراً واتخذ له مكاناً في كوخ امرأة عجوز من ينقل وهو مكان ليس ببعيد عن صحار تاركاً الحبل على الغارب. (كان الهدف هو التأكد مما يمكن أن تكون عليه عاقبة اختفائه على الرؤساء المستائين). لقد كانت تلك الإستراتيجية ناجحة تماماً. إذ أن إشاعة عن موته قد وصلت إلى الخارج فهرع بلعرب بن حمير إلى الميدان بـ ٢٠٠٠٠ رجل وهاجم نزوى. ولدى اطلاعه على الأمور عن طريق التقارير التي كانت تجلبها له العجوز ذهب أحمد ليلاً إلى صحار وجند جميع القبائل الموالية وهاجم العصاة وسحقهم بالكامل. وكان من بين القتلى بلعرب بن حمير. ولم يمض وقت طويل بعد هذه المعركة حسب ما ذكره النقيب (العقيد بعدئذ) تايلور. حتى تزوج أحمد من ابنة أحد الأمراء السابقين من اليعاربة وبهذا "ربط عائلته بأبرز الأشخاص في مقاطعاته"(٥٠).[٥٠]

أما حملة أحمد التالية فقد اتخذها بطلب جاد من قبل أهالي البصرة التي استولى عليها الفرس. فأخذ معه أسطولاً من عشرة سفن حربية وقوة قوامها (١٠٠٠٠) رجل في زوارق صغيرة، فكسر الحاجز الحديدي الذي كان قد ضربه الفرس على شط العرب وذلك بأن دفع سفينة الرحماني وبعد معركة بالسلاح الأبيض مع الغزاة الحقوا بهم

٥٠- منتخبات الحكومة البريطانية، رقم ٢٤، ص ٧.

هزيمة مطلقة. واعترافا بخدماته في تلك المناسبة منح السلطان العثماني حاكم عمان راتباً سنوياً يقول المؤلف أنه كان يدفع له بشكل منتظم من قبل حاكم البصرة وذلك إلى زمن حفيد الإمام الراحل السيد سعيد.

بعد فترة طويلة من ذلك بعث أحمد مبعوثاً في سفينة الرحماني إلى مانغالور (في الهند) يستقصي عن سبب عدم وصول الأرز إلى عمان من ذلك المكان. إن تيبو صاحب الذي يبدو أنه كان يعمل نيابة عن والده حيدر علي ضابط الإمبراطور المغولي شاه علم أستقبل المبعوث بكل رحابة وأخبره أن عدم وصول السفن كان بسبب السلب والنهب الذي قامت به عصابة من القراصنة أقاموا على ساحل مالابار. وعليه قام المبعوث ومن معه بعد أن زود ببحار من قبل السلطات المحلية بمهاجمة معقل القراصنة وقتل رئيسهم مما بعث السرور في شعب مانغالور الذين حملوا المبعوث بهدايا لنفسه وللإمام. أما حيدر علي الذي يلقب في الحوليات بنواب فقد بعث عقب ذلك سفيراً إلى الإمام أحمد في الرستاق يفيده، بأنه أبرم حلفاً دفاعياً وهجومياً معه ، ونفذت الاتفاقية وتم تخصيص موقع البيت لممثله في مسقط. ولا يزال البيت يحمل اسم بيت نواب.

أعتقد أن العداوات التي برزت بين الإمام ومحمد بن ناصر الغافري (ص ١٨١-١٨٦) قد كانت التالية من حيث الترتيب. يوضح المؤلف في (ص ١٨١) أنها حدثت قبل عشر سنين من الحرب بين الإمام وولديه وبعد عشر سنين من الحرب بينه و بين بلعرب بن

حمير والتي أشرنا إليها في السابق(٥١)..كان محمد بن ناصر حاكماً على جزيرة البحرين في عهد الإمام سلطان بن سيف اليعربي ولدى الاستيلاء عليها من قبل الفرس خلال حكم سيف بن سلطان صمد لبعض الوقت في حصن عراد غير أنه تصالح مع الغزاة ثم ذهب كي يستقر في الظاهرة حيث حظي في الحال بنفوذ كبير على القبائل هناك و تبنى قضية الإمام بحماسة كبيرة بحيث أن الأخير زوجه ابنته.

وبعد فترة وجيزة أثار القبائل وطلب من ابن رحمة الهولي وهو أبرز رئيس للقبائل على الساحل الشمالي أن يتعاون معه. فجند الإمام جيشاً كبيراً من كل عمان وجند عدد كبير من البلوش والزدجال لمقاومته. وبعد حرب ضروس هزمت فيها قوات الإمام وعقد صلح بين الطرفين المتحاربين وجددت اتفاقية السلام. من المؤكد أن قوة الغافرية كانت لا تزال مهيمنة في الظاهرة وأن سيادة الإمام في تلك الأنحاء لم تكن أكثر من سيادة أسمية.

ولم يكن أحمد أكثر نجاحاً في جهوده في سحق اليعاربة الذين لا يزالون يستحوذون على قلعتين قويتين في عمان. فقلعة نخل استولى عليها محمد بن سليمان اليعربي الذي أتهمه بدون عدل بتحريض ولديه سيف وسلطان في محاولتهما تضليل أتباعه عن ولائهم وتأمين قوات لهم مكنتهم من الاستيلاء على الحصن المهم في بركاء.

أما الإمام أحمد الذي رفض تفسيرات محمد بن سليمان فقد حشد جيشاً محلياً كبيراً دعمه بمجندين وهاجم نخل. غير أن محمد

٥١- بالنظر إلى نهاية ص ١٨١ وبداية الصفحة التالية نجد أن الحرب بين الإمام وولديه سيف وسلطان حدثت من قبل عشر سنين وليس بعد عشر سنين من حرب بلعرب بن حمير.

الذي استدعى لمساعدته في أثناء ذلك بني نعيم وبني قتب من الشمال التقى بالمهاجمين وهزمهم تماماً مما أجبر الإمام إلى إبرام سلام غير راغب فيه مع خصمه. وتلي ذلك هجوم آخر على حصن الحزم الذي كان بيد اليعاربة وأدى إلى كارثة مشابهة. ومنذ تلك الفترة مارست القبائل في الساحل الشمالي التي لجأ إليها واحد أو آخر من الأطراف المتخاصمة في عمان كل مرة نفوذاً كبيراً في شؤون ذلك البلد.

أما ثورة سيف وسلطان، ولداه الرابع والخامس، فهي الأحداث التالية التي وقعت، وقد صفح عن الاستيلاء على حصن بركاء غير أنهم استولوا على الحصون الشرقية والغربية وأصبح ميناء مسقط تحت سيطرتهم مما جعل سلطة أبيهم موضع تحد. تم من خلال تدخل القضاة في مسقط عقد صلح بين الأب وولديه للإتفاق على أن يسيطر الولدان على الحصن الغربي والأب على الحصن الشرقي. وبعد سنة قبض سيف وسلطان على شقيقهم الأكبر سعيد وحبسوه في حصنهم ولدى رفضهم تسليمه قام والدهم بالسير بجيش كبير من الرستاق وفتح النار عليهم من الحصن الغربي. ومن خلال المنافسة غير الطبيعية التي استمرت بعداء محكم وشجاعة من كلا الطرفين فضل أحد خدم الإمام الذي صادف أن يكون في القلعة الشرقية الهرب أخذ سعيد معه وسلمه بشكل أمين لوالده. ومع ذلك استمرت الحرب بين الطرفين بشدة أكثر عندما سمع الولدان الثائران أن ابن رحمة الهولي كان قد هجم على الرستاق بـ (٣٠٠٠٠) رجل من عرب الشمال وخشية من أن يكون نجاحه مصيرياً بالنسبة لادعاءاتهم أن قاموا بعقد سلام وقبل بشكل كريم من قبل والدهم. ولدى سماع الصلح بينهم انسحب عرب الشمال إلى أراضيهم.

وبعد حكم دام أربع وثلاثين سنة توفي الإمام أحمد في الرستاق في كانون الثاني ١٧٧٥. ولم يكن سهلاً تكوين أو صياغة تقويم صحيح عن صفاته كإداري. فنجاحاته الأولى خصوصاً تلك ضد الغزاة الفرس والتي أدت إلى صعوده إلى الإمامة حشدت حوله أغلب القبائل التي اعتبرته وبشكل عادل كمنقذ لبلده. غير أن غيرة اليعاربة الذين أخضعهم والطموح القلق لمحمد بن ناصر الغافري أدت بهم في الحال إلى التطلع مرة أخرى إلى التفوق والسيادة.

أما مساعيه لإجبار الآخرين الذين أصبح بوسعهم الآن الإعتماد دائماً على مساعدة أقاربهم القواسم والقبائل الأخرى المتحالفة معهم مثل بنو نعيم وبنو قتب والشوامس فقد انتهت عموماً بحل وسط كان لصالحهم بشكل حاسم.

هناك مصدر خصب آخر للنزاع والضعف القومي يعزى إلى التغيير في نمط الخلافة الذي أصبح مشروعاً في تلك الفترة. فبالأساس ولتسعمائة سنة على الأقل كان الإمام ينتخب لمزاياه الشخصية بغض النظر عن تحدره العائلي. لذا فإن أبنائه - إن ترك أي أبناء- من بعده ليس لهم أي ادعاء بالإمامة أكثر من أي مواطن آخر.

وبعد أن وقعت السيادة في يد اليعاربة وخلال استمرار تلك السلالة بالحكم خضعت هذه المبادئ إلى التحوير، فالعمانيون لا يزالون ينطلقون من نفس النقطة: فالإمام ينتخب إلا أن الحظوة الكبيرة تعطى إلى العائلة الحاكمة وإلى ابن الإمام – ليس بالضرورة الابن الأكبر – من دون أفراد العائلة الآخرين. وفي حالة احمد بن سعيد البوسعيدي الذي خلف آخر اليعاربة كانت هناك عودة إلى النظام القديم. إلا أنه من الواضح أن الشعور العام تحت حكمه أصبح ميالاً أكثر إلى الخلافة الوراثية مع تحيز لصالح الابن الأكبر. ولو كان حق

الابن البكر قد تأكد وأقر من قبل السلطة لكان من المحتمل أن يتجنب الإمام العديد من هذه الحروب للسيادة والتي برزت حتى في عهد أحمد التي كانت نوعاً ما ضعفاً للبلد منذ ذلك الحين. فعصيان سيف وسلطان، ولداه الرابع والخامس، الذي عكر نهاية حكمه له جذوره الممتدة إلى طموحهما في إخضاع أشقائهما الذين ربما كانت ادعاءاتهم مفضلة عليهما.

والأسلوب الذي اتبع في تحقيق ذلك كان بإغراء الناس على ترك ولائهم لوالدهما وتأمين حصون مسقط قبل كل شيء والتي كانت في ذلك الوقت أبرز من الرستاق من حيث الأهمية وأصبحت الممتلكات الأكثر قيمة في المملكة. هذين سببين إضافيين إزاء ما ذكر قد برزا بشكل متزامن فقد كان على الإمام أن يعيل أبنائه، " السادة" أو الأمراء ولأجل ذلك فقد أعطاهم مدينة بكل دفاعاتها والممارسة التي بودر بها تطورت بالتدريج إلى نظام أدعى به الساده كامتياز بحيث تم تخصيص جزء من اراضي الدولة لهم ولقضاتهم. واشتملت الهدية اسميا الخضوع من جانب المستلم وهي عرضة لأن تلغى. غير أنه من المحتمل دائماً فرض الخضوع على الأمير او تجريده من منصبه بعد أن ثبت نفسه في المقاطعة الصغيرة وشكل تحالفات مع القبائل المجاورة.

إن حوليات عمان التالية مفعمة بقصص عن نزاعات متكررة بين العاهل والسادة المنافسين الذين برزوا.

لقد ترك أحمد سبعة أبناء وهم ١) هلال ٢) سعيد ٣) قيس ٤) سيف ٥) سلطان ٦) طالب ٧) محمد. كما ترك ثلاث بنات

يتحفظ المؤلف عن أسمائهن "لغرض اللياقة والاحتشام" (٥٢).أما الرؤساء والناس فقد كانوا يرغبون في إعطاء الإمامة إلى هلال باعتباره الابن الأكبر والأكثر ذكاءً من أولاد أحمد إلا أنه كان عاجزاً عن الحكم بسبب ضعف بصره الذي حرمه من الرؤية. وقد ذهب إلى كوجرات بحثاً عن جراحة ومات هناك تاركاً أبنه علي ورائه في عمان. فاختار المنتخبون عندئذ سعيد، الابن الثاني لأحمد كي يكون إماماً وبعد تنصيبه أعطيت كل الحصون له باستثناء الحزم ونخل وجبرين التي كانت لا تزال بيد اليعاربة وبني غافر. وقد نصب شقيقه التالي قيس حاكماً على صحار ونصب محمد بن خلفان المنتسب إلى عائلة آل بو سعيد المتنفذة وكيله على مسقط (٥٣)-وأقام هو في الرستاق العاصمة الداخلية. لقد غزا الإمام الجديد مقاطعة الصير– وهذا ملخص مآثره المسجلة. وقد حاول الناس مرتين خلعه وتنصيب شقيقه قيس للإمامة. إلا أن كلتا المحاولتين فشلتا وقرر أبنه حمد أن يبعده ويحل محله وبواسطة الحيلة ونجح في الاستيلاء على الحصون في مسقط من محمد بن خلفان إضافة إلى حكم البلد. وأصبح السيد حمد الذي أقام في مسقط الحاكم الفعلي الآن في عمان. ومع ذلك فإن والده

٥٢- إحداهن التي يشيرإليها المؤلف بـ "ابنه الإمام" لعبت دوراً واضحاً في الشؤون السياسية للبلد حتى عهد السيد سعيد.

٥٣- حط فرانكلين في مسقط وهو في الطريق من البنغال إلى فارس في كانون الثاني ١٧٨٩ واستقبل بحرارة من قبل هذا المسؤول الذي يصفه باسم "شيخ خلفان، الوكيل". وعاش الإمام كما يقول في بحبوحة كبيرة في مكان بعيد مسافة سفر يومين. وهو يذكر أن العديد من التجار الهنود غير المسلمين يقيمون في مسقط لمحاربة التجارة والصيرفة لصالح شركة الهند الشرقية الأنكليزية غير أن " الحكومة لن تسمح (رغم الحاحها بذلك) بالإقامة بأية وكالة تجارية أوربية" رحلات وأسفار بنكرتوم، ج ٩، ص ٢٣٧.

أستمر في الاحتفاظ بلقب الإمام حتى مماته الذي حدث في عهد السيد سعيد الراحل وهو أبن سلطان شقيق سعيد الإمام الذي خلف حمد. وأثناء حياة الإمام سعيد لم يكن مناسب تعيين إمام آخر لهذا المنصب الجليل. لذا فمن وصل إلى الحكم خلال حياته عرف ببساطة باسم "السيد".

حدثت بعض الأحداث القليلة الجديرة بالذكر خلال عشر سنوات من حكم حمد فقد كان على علاقة ودية مع اليعاربة ويبدو أنه لم يكن موضع تحرش ببني غافر رغم أنه نجح في الاستيلاء على الحزم من أحد حلفائهم وسلمها إلى الهناوية. وأضاف برجاً إلى الحصن الغربي للسيطرة على الميناء في مسقط وبنى قلعتين منفصلتين في روي وبركاء. وبرز سوء فهم بينه وبين عمه أدى إلى رحيل الأخير إلى الساحل الشرقي من أفريقيا بهدف معاداة أبن أخيه في ذلك المكان، فتبعه حمد إلى لامو لكن بعد أن وجد أن سيف كان قد توفي عاد إلى عمان، وبدأ عمه سلطان بالانتقام منه بأن آثار النزارية من سمائل على العصيان. وتم التوصل إلى صلح بين العم وأبن الأخ واستمر في علاقة ودية بعد ذلك رغم أن حمد عاش في خوف كبير من سطوة سلطان ونفوذه. لقد كان حمد يعد العدة لحملة شبه حربية كبيرة عندما أصابه الجدري في مسقط حيث أصيب والده أيضاً الإمام سعيد في الرستاق ولدى وصوله عشية ذلك اليوم أحرقت الفرقاطة الجديدة الرحماني في الميناء. لقد مات في الثالث عشر من آذار عام ١٧٩٢ ودفن في الوادي الأوسط خلف مسقط أستأنف الأمام سعيد سلطته ونصب أحمد حاكماً لمسقط وأبن اخيه علي بن هلال حاكماً على بركاء وعاد هو إلى الرستاق وسمح لأبنه وأشقائه وأبناء أخوته تنفيذ أهدافهم المنفصلة دون تدخل من جانبه. وتوضح النتيجة

كيف أن سلطان بشجاعته تغلب على كل منافسيه ونجح في تبوء كرسي الحكم بينما لا تزال الإمامة الاسمية بيد شقيقه الأكبر سعيد بن الإمام أحمد.

كانت خطوة سلطان الأولى هي السيطرة على بركاء التي كانت عندئذ بيد ابن أخيه علي الذي أقنعه بالرحيل إلى الرستاق مدعياً عقد السلم بينه وبين الإمام. وخلال غياب علي استطاع الاستيلاء على الحصن وقتل أحد الحرس بكل برود أعصاب بيديه ثم دعا العديد من القبائل وسار نحو مسقط. وعندما وصل خبر هذه الأحداث إلى الإمام بعث علي في الحال مع توجيهات لمساعدة ابنه احمد لمقاومة الهجوم المتوقع. وكان أبناء العم الاثنان يفتقران الاستعداد للمقاومة فغالبية السكان كانت إلى جانب سلطان وكان أحد المسؤولين عن أحدى البوابات قد سمح للغزاة بالوصول إلى الجدران فأصبح سلطان عندئذ سيد كل الحصون. ولغرض إبعاد شقيقه قيس الذي كان يحكم مطرح وصحار كتب إليه يخبره أنه استولى على مسقط لأجله ونصحه أن يمنع شقيقه من التدخل. فأخذ قيس الطعم وبعث يخبر الإمام أنه لو تحرك لنجدة مسقط فإنه سوف يتحرك ضد الرستاق.وعقد صلح عقب ذلك بين المتنافسين على الشروط التالية: أن يحكم الإمام سعيد الحصن الشرقي ومحمد بن خلفان الوكيل الحصن الغربي وفي حالة انتهاك أي من الشقيقين السلام فيجب أن ينقله إلى الآخر. وكان عليه أن يعمل كوالي بينما لسلطان الحق أن يأخذ عائدات مسقط وينفقها على الجيش والبحرية والدفاع عن الحصن الشرقي.

وفي إحدى الزيارات التالية لمسقط بعث سلطان طالباً قائد الحصن الشرقي وعن طريق التهديد بقتله أقنعه باستسلام الحصن. وحسب نمط سياسته البارعة هذه كتب يخبر شقيقه قيس أنه كان

يعمل لصالحه وحثه مرة أخرى أن يوقف أي عمل من جانب شقيقهما الإمام. إن سلطان الذي ترك بكامل حريته لتحقيق أهدافه الطموحة كان يهدف إلى الخطوة التالية بالاستيلاء على الحصن الغربي. وبعد أن أخذ سرية معه من آل وهيبة إلى مسقط أعلن أنه أصيب بالجدري. ولدى سماع هذه الإشاعة ذهب محمد بن خلفان يصاحبه والده وأحد أشقائه لزيارته والاطمئنان عليه. وعندما نهضوا للرحيل أمر سلطان بإلقاء القبض على محمد ولم يطلق سراحه حتى سلم الحصن الغربي إليه. ونظراً لعدم قناعته بهذه النجاحات هاجم مطرح في الخطوة التالية وهي إقطاعية شقيقه قيس وأخذ الحصن هناك أيضاً.

وعندئذ تم تشكيل ائتلاف بين قيس وشقيقه الإمام ومحمد بن خلفان للحد من انتهاكات سلطان فجندا معاً قوة قيل أنها بلغت (٦٠٠٠٠) رجل. أما سلطان الذي أضرم النيران على التلال فقد خدع العدو وجعلهم يعتقدون أن لديه قوة ساحقة معه أستطاع أن يفصل قيس بأن وعده أن يعطيه حصون بدبد وسمائل. لكن لدى وصول قيس إلى المكان الأول فتحت الحامية وبأوامر من سلطان النار عليه فعاد قيس نتيجة لذلك إلى صحار وعاد الإمام سعيد إلى الرستاق تاركين سلطان يسيطر على الموقف. أما أهل الشرقية وجعلان فقد اعترفوا به الآن كحاكم لهم. ولم يتم انتخابه رسمياً ولم يعلن عن كونه إماماً لأن ذلك المنصب المبجل كان لا يزال بيد شقيقه سعيد في الرستاق.

وفي هذا الوقت دخلت شركة الهند الشرقية في علاقات سياسية مع حاكم عمان. وأول معاهدة مسجلة قد عقدت مع سلطان ويرجع تاريخها إلى الثاني عشر من آب عام ١٧٩٨. وكان هدفها تأمين تحالفه ضد المخططات المشبوهة للفرنسيين والمنافسة التجارية

للهولنديين في ذلك المكان وتأمين الحصول على قرار منه بإقامة وكالة بريطانية وحامية في جمبرون التي كانت معروفة ببندر عباس. أما المعاهدة الثانية التي يرجع تاريخها إلى الثامن عشر من كانون عام ١٨٠٠ والموقعة من جانب الشركة من قبل المبعوث جون مالكولم "تنص على أن" يقيم شخص إنكليزي مرموق من جانب الشركة الموقرة، على الدوام في ميناء مسقط ويكون وكيلاً تدار جميع العلاقات بين الدول من خلاله"(٥٤). وفي هذه الوثائق أطلق لقب الإمام على السلطان من طرفه وطرف الممثل البريطاني ويمكن أن اعزوا هذه الحقيقة إلى الافتراض بأن كلا الطرفين كانا يعتقدان أنه يملك سلطة ضمنية فعلية. إلا أنه من المؤكد مع ذلك أن اللقب لم يعط له في رواية المؤلف في عهده. فهو يشير إليه بشكل موحد بـ "السيد سلطان".

بعد الاستيلاء على المدن الساحلية في السويق والمصنعة من شقيقه سعيد حول سلطان أفكاره إلى الاحتلال الخارجي واستولى على شهبار (جاربار) على ساحل مكران وكذلك جزر القشم وهرمز من بني معين.

كما أخذ جزيرة البحرين من قبيلة العتوب التي كانت قد غزتها واحتلتها قبل سنوات قليلة. وإزاء ذلك يبدو أنه قد عمل بانسجام مع السكان الأصليين الذين يصفهم المؤلف بـ "الشيعة" ربما لأن أغلبهم وبسبب الاحتلال المتكرر للجزيرة من قبل الفرس ينتمون إلى هذه الطائفة. على أية حال لقد نجحت العتوب بعد فترة قصيرة من طرد سالم، الابن الأكبر لسلطان والذي نصبه حاكماً على ذلك المكان. أما بنو نعيم وبنو قتب والمتحالفون معهم من قبائل بني ياس، تلك القبائل

٥٤- أنظر منتخبات حكومة بومباي، رقم ٢٤، ص ٢٤٨-٢٥٠

التي تحتل الساحل الشمالي أصبحت تهدد الآن صحار التي كانت عندئذ بيد قيس الذي طلب مساعدة شقيقه سلطان. وعند وصول الأخير وخشية ألا يدفع قيس ثمن الاحتفاظ بمنصبه في صحار حاول أن يتخلص من الغزاة بالمال.وبعد أن رفض هذا العرض هاجم جيش الأخوين العرب في مكان يدعى الدباغ والحقوا بهم هزيمة مطلقة.

وعند موت سعود حوالي ١٨٠٠م خلفه ابنه عبد العزيز" الذي حول جيوشه إلى الشرق فهاجم القطيف واحتل البحرين والجزر المجاورة في الخليج العربي وهاجم الساحل الشرقي أو بر فارس الذي انتزعه عنوة من الحكم الفارسي " (٥٥). ونقل من خلال كتاب أو كتيب منسوب إلى محمد بن عبد الوهاب والذي يبدو أن نسخة منه قد بعثت إلى الجميع. وتبع ذلك إرسال سبعمائة فارس تحت إمرة الحارق وهو عبد نوبي نجح في إخضاع معظم القبائل الشمالية بما في ذلك قبائل الظاهرة حيث جمع منهم الزكاة جاعلاً البريمي مقراً له ومن هناك شنّ عدة غارات على الباطنة. علاوة على ذلك يقال أن قبيلة العتوب في البحرين قد اعتنقت العقيدة ودخلت في تحالف مع الوهابية وقامت بممارسة القرصنة في البحر " مستولية على كل سفينة تقع في طريقهم".

أما عمان فقليلاً ما أزعجتها هذه التحرشات، حيث أن سلطان كان مشغولاً في حربه مع الغافرية الذين كانوا ما يزالون يحتلون جبرين عقب رفض صهره الذي ينتمي إلى هذه القبيلة نقل ملكية زوجته المتوفاة له. أن هذه الملاحظة العرضية تبين أن العاهل الذي يسير على خطى والده الإمام أحمد (ص ١٨٣) قد حاول تعزيز موقعه بتحالف مصاهرته مع أقوى منافسيه في عمان. فمحاولة إكراههم

٥٥- وسط وشرق الجزيرة، جـ ٢٢ ص ٣٩.

من جانبه لم تكن ناجحة إذ رغم أنه استطاع عن طريق إحدى استراتيجياته الاعتيادية أن يحصل على نحاس خلال غياب الحامية ليعطل مدفعاً ذا بعد كبير كان يحمي قلعة جبرين التي عدت عصية بوجهه برغم الحروب الثانوية التي أعطتها هذه المغامرة بروزاً فيما بين الغافرية وحلفاء آل بو سعيد إلا أن سلطان أعتبر البلد هادئاً بحيث سمح لنفسه القيام بالحج. فمضى تبعاً لذلك إلى مكة عام ١٨٠٣ تصاحبه حاشية من النبلاء العمانيين.

خلال غيابه تآمر بدر، ابن أخيه المتوفى سيف، مع ماجد ابن خلفان وكيل مسقط بالاستيلاء على الحصن الشرقي. إلا أن الشخص المسئول عن القيادة رفض السماح لهم فهرب بدر أولاً إلى عجمان حيث ضيّف بسخاء من قبل شيخ بني نعيم ومن هناك ذهب إلى الدرعية، عاصمة عبد العزيز حيث استقر به المقام.

إن هذه الخطوة لم تبشر بخير كما لاحظ سلطان في طريق عودته بالنسبة لأهل عمان. فأحد المتآمرين قد قبض عليه وأميت جوعاً في الحصن الغربي ثم القي في البحر.

تحققت مخاوف سلطان في الحال إذ قامت مجموعة من نجد يصاحبهم مجندين من حلفائهم في الظاهرة بمهاجمة السويق بعد فترة وجيزة – السويق هي المدينة الأكبر بعد صحار على ساحل الباطنة – وهزمت القوة التي أرسلت لطردهم بما في ذلك قائدهم محمد بن حمد. لقد أصبح واضحاً الآن أن الوهابيين كانوا ميالين إلى فتوحات أخرى وأنه لن يتوقف تقدمهم المطرد إلا بجهد مشترك من جانب العمانيين. وإزاء هذا الطارئ استشار سلطان حاكم نخل اليعربي الذي نصحه بتجميع كل رؤساء عمان في مؤتمر حول هذا الموضوع. وحضر المجلس الذي عقد في بركاء أشقاء سلطان طالب ومحمد

واثنان من أبناء أشقائه وأحمد أبن الإمام الحاكم وغيرهم من الأفراد البارزين من آل بو سعيد إضافة إلى عدة نواب من قبيلة اليعاربة والقبائل العمانية الأخرى.

وافتتح سلطان الجلسة بوصف مختصر للوضع الحرج للبلد ودعا الحضور إلى التعبير عن رأيهم حول السياسة التي ينبغي تبنيها. وقال واحد من أبناء أشقائه رداً على ذلك بعد أن طلب الحديث للمرة الثانية : إن كنت ترى أنه منذ موت محمد بن حمد الوهيبي وأتباعه لا يوجد أحد في عمان شجاع بما فيه الكفاية ليقف بوجه هؤلاء الأعداء فإن آرائنا تختلف عن آرائك إذ ما من شك إن عمان لا تزال تمتلك رجالاً أقوى منهم وأكثر عدداً وصموداً في الحرب. فنحن لا نخشى أعداء لأن لدينا قلوب في صدورنا مستعدة لمجابهتهم وإن السيوف فوق أكتافنا ونحن مستعدون بواسطتها أن نضربهم. فالدم هو الصبغ الوحيد للرجل والحرب هي غذاؤنا الروحي. وإن الكلمات غير مجدية ما لم تتبعها الأفعال وعليه دع الوهابيين وحلفاءهم يستعدون لما ينتظرهم".

وحيث أن الشعور الوطني قد التهب لدى كل الحضور فقد اتخذ قراراً بتجنيد عام لكل القبائل التي تقرر أن تتجمع في الخابورة، ومن هناك سار سلطان بعد وقت قصير على رأس اثني عشر ألف رجل. أما الحارق فلدى سماعه بتقدمهم حطم معسكره في العوهي وهو ليس ببعيد عن صحار وهرع إلى البريمي ومن هناك عاد إلى نجد. إن ارتداد الوهابيين أدى إلى صلح بين القواسم وسلطان مما خلص عمان من أي احتمال بغزو جديد من نجد. لقد استفاد سلطان من فرصة السلام هذه لزيارة البصرة بغية استلام الأتاوة السنوية المقدمة إلى حاكم عمان اعترافا بالخدمات المقدمة إلى تلك المدينة

حينما حوصرت من قبل الفرس (ص ١٦٩،١٧٠). وفي طريق عودته خارج حدود لنجة في الأراضي الفارسية ترك يخته ونزل إلى الساحل بقارب السفينة ربما بقصد أن يذهب إلى بندر عباس من خلال مضيق كلارنس. وفي منتصف الليل داهمته ثلاث زوارق تعود إلى الشحوح وهم قبيلة تحتل بلداً قرب رأس مسندم كانت تراقبه. وبقبوله بشجاعة التحدي بالقتال تم الاتفاق بأن تؤجل الحرب حتى النهار وطبقاً لذلك أوقف كلا الطرفين مراكبهم وثبتوها عند الليل. وخلال الحرب التي بدأت فجر الصباح التالي قيل أن سلطان حقق شجاعة نادرة وكان خصومة يهربون عندما أطلق عليه أحدهم النار من بندقية وقتله في الحال. لقد حدثت المواجهة في العشرين من تشرين أول ١٨٠٤.

أما طاقم اليخت فبعد أن نهبهم القراصنة نقلوا الجثمان إلى لنجة حيث دفن هناك وأبحروا بعد ذلك إلى مسقط وعندما ابتعدوا عن بركاء سبح أحد عبيد سلطان إلى الساحل وأوصل الخبر إلى عائلة سيده في الفليج حيث إقامتهم. وكان الحاضرون في تلك المناسبة هم السيدة شقيقة سلطان وأبنائه سالم وسعيد، فذهب الأبناء في الحال إلى مسقط التي كانت في ذلك الوقت متفوقة على الرستاق كعاصمة للسلطنة وسيطروا بشكل هادئ على حصونها. إن نبأ موت أبيهما قد سبب حزناً عاماً في عمان " وأصاب جميع السكان بالحزن".

أما موقف الأطراف الرئيسية في البلد تلك الفترة فكان كما يلي: الإمام سعيد كان لا يزال حياً في الرستاق وكان محروماً من أية سلطة خارج تلك المدينة. أما قيس شقيق سلطان فكان يحكم صحار. ومحمد الشقيق الآخر فقد كان يحكم السويق. وأحمد وعلي أبناء أشقائهم فقد كانا بانتظار الأحداث.

أما بدر، ابن أخيه الذي لجأ عند عبد العزيز، الأمير الوهابي فربما كان في نجد أو في طريق عودته إلى عمان. وكانت عائلة خلفان القوية مستعدة لاغتنام الفرصة لاستعادة موقعها السابق. أما اليعاربة في نخل والغافرية في جبرين فكانتا لا تزالان تحتلان الحصون المهمة وكانتا مستقلتين فعلياً. أما القبائل العمانية الأخرى كما سنرى في الحال فقد كانت منقسمة في ولائها فبعضها يؤيد سالم وسعيد وبعضها يؤيد عمهما قيس بينما قبائل أخرى كانت تهدف إلى الحكم الذاتي أو كانت مستعدة لبيع دعمها إلى من يدفع أكثر. وأحتل الوهابييون النجديون البريمي ومن هناك أرعبوا سكان الظاهرة وكذلك العرب على الساحل الشمالي.

خلال عهد السيد سلطان تم ضم شهبار على ساحل مكران إلى عمان كما استولى على جزر القشم وهرمز من عرب المعين ولنجة في الجزء الجنوبي من أراضي فارس ومن فحوى الاتفاقية التي عقدت معه من قبل شركة الهند الشرقية (أنظر ص ٤٤) يتضح أنه يحتل جمبرون التي هي الآن بندر عباس ومارس حقوق السيادة عليها هناك. أما فيما يخص الفتوحات العمانية على الساحل الشرقي من أفريقيا فمن المؤسف أن مؤلفنا لا يقدم لنا سوى معلومات شحيحة.

على أية حال نحن نعرف من مصادر أخرى أن جزيرة زنجبار قد خضعت إلى حملة بعث بها الإمام سعيد بن أحمد شقيق سلطان عام ١٧٨٤ قبيل تولي سلطان الحكم وكانت ممباسا على الساحل قد أعلنت ولائها لعمان خلال حكم الإمام أحمد بن سعيد ويبدو أن حمد الذي خلفه سلطان في الحكم كان ميالاً لاستعادتها. غير أنه لم يتم ضمها نهائياً حتى عهد الراحل السيد سعيد الذي استولى عليها مع

ميناءين آخرين والجزر الأخرى في ذلك المكان والتي تشكل الآن إمارة زنجبار المستقلة.

وعند موت سلطان حكم أبناؤه سالم وسعيد بصورة مشتركة رغم أنه بسبب نفوذ السيدة، عمتهما التي تبدو وقد لعبت دوراً في الشؤون العامة أذعن سالم لأرجحية شقيقه الأصغر. وبما أن الإمامة كانت لا تزال بيد عمهما سعيد فإن أياً منهما لم يستطع أن يتطلع إلى شرف الإمامة. غير أن هذا الامتياز كان قد فقد أهميته منذ مارس ابن عمهما حمد ووالدهما سلطة مدنية وسياسية علياً وبلقب "السيد". على أية حال فمع معرفتهما أن وجود العديد من الفئات في البلد فإن الانتخاب العام لمنصب العاهل يعد أمرا غير عملي لذا لم يفقد الشقيقان أي وقت في استدعاء رؤساء القبائل المتعاطفين إلى مسقط. وحيث أن هؤلاء كانوا مشغولين في مساعدة السيد سعيد ضد جميع من يعارضون حكمه تسنم العاهل الجديد زمام الحكم.

يكرس المؤلف فصلاً مستقلاً للسيرة الذاتية القصيرة للسيد سالم الذي يبدو أنه قد عاش على وفاق ودي تام مع شقيقه وتعاون ودياً في كل الظروف.

لقد كانت شخصيته مزيجاً فريداً من الشجاعة والتسامح والورع جميعها مدمجة مع صفات اجتماعية من الطيبة والتحضر. والجزء الأهم من هذا الفصل هو رواية عالم الإحساء الذي استدعي مع العديد من أبناء جلدته ليحضر بين يدي عبد العزيز الأمير الوهابي في الدرعية. أما روايته عن الوهابية فرغم أنها تأتي من مصدر معادٍ إلا أنها تكشف عن فكرة كبيرة تسود النظام. فمحمد بن عبد الوهاب مؤسسها لم يكن مبتدعاً بل مصلحاً هدفه هو العودة بالإسلام إلى

فطرته ونقائه الأول عن طريق الإصرار على عقيدته السياسية "أن لا إله إلا الله".

إن الغزوات المتكررة لعمان من قبل الوهابيين خلال حكم السيد سعيد قد أوصلت البلاد على حافة الدمار ولم ينسحبوا إلا بشرط الأتاوه السنوية على شكل زكاة تدفع إلى أميرهم سوف تذكر فيما بعد.

أما بالنسبة للوقت الحاضر فيجب أن نعود إلى السيد سعيد الذي تركناه في مسقط مباشرة بعد انتخابه للحكم.

لم يمض عليه وقت طويل في الحكم عندما أحيكت مؤامرة ضده وذلك بتحريض من محمد بن خلفان الوكيل السابق بمسقط وكان هدفه الواضح هو تنصيب السيد قيس حاكم صحار في الحكم. ولم يستغرق الطرفان وقتاً في استدعاء مؤيديهما وحلفائهما للحرب القادمة. وانحاز آل بوسعيد عموماً جانب قيس وكذلك فعل أشقاء الإمام سعيد في الرستاق ومحمد في السويق والأفراد الآخرين من عائلة السيد.

لقد طلب السيد سعيد مساعدة مهنا بن محمد رئيس قبيلة اليعاربة الذي أضاف إلى وعده بالتعاون الوعد ببعث أشقائه ليجندوا عرب الغافرية وعرب الشمال لنفس القضية. لكن قبل مجيء المجندين المتوقع كان قيس قد تحرك إلى الإمام بجيشه واحتل الخابورة والسيب واكتسح مواقع العدو في مسقط. وإزاء هذه الأحداث استقل السيد سالم سفينة إلى بركاء ودُعي من قبل مهنا اليعربي الذي ألقى خمسين من رجاله في حصن بركاء وجاء بمائة آخرين للمساعدة في الدفاع عن مسقط التي أعطيت جميع إدارتها إليه. وبعد أن وضع القوات التي وصلت على التعاقب بحيث تسيطر على المرتفعات جمع

مهنا مجلساً من الرؤساء تقرر فيه محاولة الصلح بين قيس وأبناء شقيقه سالم وسعيد على الشروط التالية:

على قيس أن يحتفظ بحصنين كان قد استولى عليهما ويحصل إضافة إلى ذلك علاوة شهرية مقدارها ٢٠٠٠ دولار. وبعد رفض هذا العرض من قبل قيس استأنفت المناوشات وقام المهاجمون بعدة غارات على أطراف المدينة وخرج المحاصرون تبعاً لذلك لردهم. وأرسل بعدئذ رسول من قبل السيدة إلى بدر بن سيف الذي كان آنذاك في قطر (أنظر الملاحظة ص ٢٣٧) طالبة حضوره. فهرع مباشرةً إلى مسقط ولدى وصوله قام السيدان والسيدة بتسليم جميع إدارة الشؤون بيديه فاتخذ إقامته بحصن بركاء وانضم إليه بعدئذ مجندون كثر من قبائل الظاهرة الذين كما ذكرنا كانوا تحت النفوذ الوهابي وعليه كانوا ميالين للتعاون مع بدر التي كانت ميوله الوهابية معروفة. على أية حال لم يضع وقتاً عندما أرسل هذه التعزيزات إلى مهنا لمساعدته للدفاع عن مسقط.

إن وصول النزارية البالغ عددهم ٧٠٠٠ رجل إلى بركاء بإمرة حميد بن ناصر الغافري لمساعدة بدر وأبناء عمه وقد أقنع قيس باقتراح الصلح مع أبناء شقيقه. فتم الاتفاق بناءاً على ذلك أن يستمر في حكم قلعتي السيب والخابورة لكن يجب أن ينسحب من مطرح ويعود إلى صحار. لقد عزز مهنا هذا الترتيب الودي ويبدو أنه قد عمل بولاء كبير لهذه القضية. علاوة على ذلك بعد أن بلغه أن هناك تفاهماً سرياً بين أتباع الغافري وأقاربهم من القواسم للاستيلاء على مسقط في حالة ما إذا سمح لحميد الغافري بدخول المدينة. وكان متلهفاً للتخلص من وجودهم.

وحقيقة أن السيد سعيد شعر بالالتزام إزاءهم فبعث لهم ٤٠٠٠٠دولار وهدايا ثمينة أخرى مما يوضح أن قبائل الغافرية كانت مستقلة عملياً. إن ولاء مهنا للسيدين سالم وسعيد كان قد أثار غيرة ابن عمهما الأكبر بدر الذي كما رأينا عهد إليه بإدارة الأمور لصالحهما. وبعد أن يئس من بلوغ مآربه بأية طريقة أخرى استخدم قاتلاً ليغتاله في قلعته بعد عودته إلى نخل. إن هناك سوابق لا تعد ولا تحصى تبرر هذا العنف وإن التعاون كان غير ممكن ضد أي شخص من نفس العائلة. وبعد الاستيلاء على مدينة مسقط والهيمنة على ما جاورها أقتنع قيس أساساً ومن خلال تدخل شقيقته السيدة بالانسحاب إلى صحار ولكن ليس قبل الاشتراط بضم حصن مطرح وإتاوة شهرية مقدارها ألف دولار.

هكذا أبرم السلام لكنه استمر لفترة قصيرة على أية حال. فبتحريض من أحد أفراد عائلة آل بوسعيد المؤثرين قرر أبناء العم الثلاثة بدر وسالم وسعيد شن حرب على عمهم قيس. ومن بين المجندين العدة الذين دعوهم لهذه المناسبة كان هناك قوة الطوارئ التي بعث بها الوهابيون وبنو ياس وعرب الشمال الآخرون وكذلك من بعث بهم أخوه الإمام الحاكم سعيد بن أحمد عمهم. كما وقدموا أموالا كثيرة لتأمين وضمان تعاونهم مع الغافرية. وابتدأ قيس الحرب بهجوم على مسقط التي تم الدفاع عنها باقتدار من قبل بدر وأتباعه ولكن رغم أن التعزيزات التي وصلت إليه قدرت بسبعمائة رجل من القواسم إلا أنه كان عاجزاً عن كسب الأفضلية على المهاجمين.

وانضم إلى السيد سعيد من ناحية أخرى حوالي ١٢٠٠٠ رجل في بركاء هم من الظاهرة التي كانت تحت قيادة حميد بن ناصر الغافري. وبعد أن سار بهذه القوة استولى أولاً على السيب ثم بدبد،

أما بدر الذي حصل على تعزيزات أضافية من بني قتب وبني ياس فقد شرع في الوقت ذاته بالتعرض لهم ونجح بطردهم من المواقع التي كان قد أحتلها قرب مسقط. بينما كان يعد العدة للهجوم على مطرح طلب قيس السلام وتم التفاوض بشأن الصلح بين أبناء الأخ وعمهم شريطة أن يسلم الأخير مطرح إليهم.

ولدى عودة قيس إلى صحار استغنى السيد سعيد عن أتباعه الشماليين وقدم لزعيمهم حميد بن ناصر الغافري مبلغاً آخر قدر بـ ٤٠٠٠٠ دولار لخدماته.

بعد فترة ليست طويلة تجددت الحروب ضد قيس وذلك بتحريض من ابن أخيه بدر.وفي هذه المرة تم الاتفاق بأن تكون بهلاء وهي المعقل الرئيسي في عمان والتي كان يحتلها محمد ابن الإمام شقيق قيس وحليفه الثابت أول نقطة للهجوم. وتم توجيه اليعاربة في نخل طبقاً لذلك بالسير إلى هذا المكان حيث زودهم بدر وأبناء عمه بالأسلحة والذخيرة ودعوا مؤيدهم من القبائل المجاورة للتعاون معهم وسار بدر نفسه إلى الخابورة التي كان يحتلها قيس حيث انضم إليه عرب الساحل وكذلك حميد بن ناصر الغافري الذي طلبت مساعدته مرة أخرى فجاء بمصاحبة عدد من الوهابيين ومجندين من النزارية في الظاهرة. على أية حال انتقص حميد سراً من نجاح بدر ضد عمه وخشي أن يكسب بذلك هيمنة خطيرة على عمان خصوصاً وإن كانوا مكرسين لمصالحه. فاقترح طبقاً لذلك القيام بمحاولة لإقناع قيس بالإستسلام وتسليم الحصن بعد أن حصل على موافقة بدر على المقترح ومضى إلى صحار مع غالبية أتباعه تاركاً بني كلبان كقوة طوارئ في الخابورة. وخلال غيابه حدث شجار انتهى بسفك دماء في المعسكر بين الحرث والجنبه. حيث أن الآخرين جاؤوا وكانوا قد

هزموا في المواجهة فإنه دعا حلفاءه من الخابورة وعاد إلى منطقته بغضب شديد.

إن فشل محاولة السيد سعيد ضد الخابورة قد تمت موازنتها بالاستيلاء على قلعة بهلاء التي قدمها عمه محمد لأجل تعزيز السلام طوعاً إلى حليفه السابق مالك بن سيف اليعربي. فوضعها تحت المسؤولية المؤقتة لمحمد بن سليمان وهو رئيس آخر من نفس القبيلة بينما ذهب هو إلى وظيفته كوالي في نخل. لكن عند عودته رفض محمد بن سليمان السماح له بدخول الحصن واستحوذه لنفسه مدعياً أن ذلك لمصلحة السيد سعيد. من ناحية أخرى قام قيس بعرض للقوة ضد جبرين ونزوى ولكنه أحبط من قبل حميد بن ناصر. ولأجل وضع نهاية للعداءات المستحكمة في تلك المنطقة سلم محمد ابن الإمام نزوى إلى ابن أخيه، السيد سعيد.

إن شكوى السيد سعيد من ابن عمه بدر وخصوصاً العلاقات الودية التي كان قد أقامها مع الوهابيين قادته إلى تطويق أعماله التدميرية بالاتفاق مع محمد بن ناصر الجبري الذي كان الوحيد موضع ثقته. فاقترح طبقاً لذلك القيام بهجوم آخر على الخابورة على أساس أن الوهابيين أو أهل الظاهرة لن يشاركوا ضده. وحينما تجمعت القبائل الأخرى في نعمان قرب بركاء دخل السيد سعيد وبدر بالحصن بمصاحبة العديد من الرؤساء بينما اتخذ محمد بن ناصر موقعاً قريباً من المدخل. وعندما جلس هؤلاء وطرح موضوع السلاح قام مولى الجبور بسحب خنجر بدر من غمده بهدف تجريده من السلاح بينما كان سعيد يوجه له ضربة بسيفه وكسر ذراعه. فرمى بدر بنفسه من الشباك وطلب النجدة وأمر محمد بن ناصر عدم التدخل. وعليه امتطى بدر حصانه وهرع مسرعاً فلاحقه ابن عمه

سعيد وثلة من رجاله الذين بعد أن وجدوا أن الهارب قد سقط على الأرض بسبب فقدانه دماء كثيرة ضربوه بسياطهم بسرعة. وكما هو الحال في أعمال عنف مشابهة قام بها بدر (أنظر ص ١٩١). وأدت هذه الحادثة إلى صلح بين السيد وعمه قيس الذي كان يكره بدر.

بعد سنة هاجم سعيد وقيس خورفكان التي أصبحت ملجأ للقراصنة العاملين بإمرة سلطان بن صقر القاسمي، وفي الحرب التي تلت هزمت قوات السيدين. ومن بين من قتل السيد قيس الذي خلفه ابنه عزان على صحار. وبطلب منه تعهد السيد سعيد بالدفاع عنه ضد جميع أعدائه. إن الالتزامات المتبادلة في هذه الاتفاقية لم توضح. إلا إنه من الواضح من سياق الأحداث أن السيد سعيد ومنذ ذلك الحين مارس سلطة أكبر على المنطقة مما تصور خلال حياة عمه قيس.

الهدف التالي لشك العاهل كان شريكه الأخير محمد بن ناصر الجبري الذي كان يحتل حصون بدبد و سمائل المهمة. وبعد أن أجبره على تسليم هذه الحصون بعد أن تغلب عليه شخصياً. فهرب محمد إلى العينين حيث استقبل بحفاوة من قبل حميد بن ناصر الغافري الذي وضع حصن إزكي تحت تصرفه. ومن هناك سار إلى الدرعية طالباً مساعدة سعود بن عبد العزيز (٥٦) الذي كان قد خلف والده أميراً على الوهابية. فبعث سعود الذي لديه الرغبة للتدخل في شؤون عمان قوة تحت قيادة مطلق المطيري لنجدة محمد بن ناصر وإخضاع بلده لطاعة سعود. ولدى وصول مطلق إلى البريمي جند جميع عرب الشمال وهاجم واستولى على حصن شناص الواقع حوالي ثلاثين ميلاً شمال غرب صحار وكانت حركته التالية إلى صحار نفسها

٥٦- الأمير الوهابي الثاني بهذا الاسم (سعود الأول). بلكريف انظر الملاحظة في ص ٥-٢٤٦.

حيث انضم إليه حميد بن ناصر الغافري ومحمد بن ناصر الجبري مع أتباعهم. ولكون عزان بن قيس مريضاً بالجدري في ذلك الوقت فإن ابن عمه السيد سعيد تعهد بالدفاع عن المكان. بعد فشل قوات مطلق بالدخول إلى صحار سارت على طول الساحل وتحولت إلى المصنعة ووادي المعاول ناهبة البلد وهي في طريقها.

وفي ذلك الوقت انضم إلى المتحالفين مالك بن سيف اليعربي بحيث أن الوهابيين والغافرية واليعاربة ومحمد بن ناصر الوالي السابق لسمائل قد احتشدوا ضد السادة. واستحوذت الجيوش المشتركة لدى تقدمها نحو المكان الأخير على كل الروابي أو التحصينات التي تطل على الوادي عندما غادر مطلق إلى البريمي وحميد بن ناصر إلى العينين تاركاً محمد بن ناصر ليحاصر ويستولي على الحصون. وقام السيد سعيد بأكبر مجهود لدعم حامية البلوش وإزعاج العدو طالباً نجدة ابن عمه عزان ومؤيديه من جميع الأنحاء بل حتى أنه اقترح صلحاً مع محمد بن ناصر بأية تضحية عدا استسلام حصون بدبد وسمائل غير أن الأخير أصر على تنفيذ الحصار لحين إجبار قائد البلوش الشجاع على الاستسلام إن هذا الرجل السيئ الحظ وآمر الحرس قد رميا في السجن في مسقط وأبقي عليهما هناك حتى توفيا، إن العاهل لدى يأسه من النجاح ضد هذا الإتحاد الذي يطوقه من كل الجوانب بعث بشقيقه السيد سالم مع حاشية مناسبة طالباً النجدة من فتح علي شاه (١٨٠٩م) الذي كان تحت ضغط ملح من قبل سفراء فرنسا وإنكلترا الذين طلبوا تعاونه.

الرواية موجودة في الصفحات ٣٠٦-٣١٤ حول هذه السفارة إلى شيرازِ وإن الضوء الذي تلقيه على أسلوب البلاط الفارسي واضح جداً، كذلك دسائس ميرزا الذي عين لاستقبال الزوار العمانيين

وتضليل هدفهم وكذلك النقاش حول عقائد الشيعة والاباضية والتي حدثت بين ميرزا والقاضي الذكي في حاشية السيد سالم، ثم من خلال البراعة الشرقية للأخير كدبلوماسي كل تلك الأحداث سردت ببساطة أخاذة. إن الطلب الذي تقدم به سالم تزويده بـ ٣٠٠٠ رجل فارس يتم الدفع لهم وإطعامهم وتسليحهم على حساب الدولة العمانية قد تمت الموافقة عليه من قبل الشاه وفي خلال ذلك تم نقل قوة طوارئ من الخيالة من بندر عباس وعسكرت قرب حصن بركاء على الساحل الباطنة بحوالي خمسة وأربعين ميلاً غرب مسقط. استعد كلا الطرفان الآن للصراع القادم: محمد بن ناصر الجبري الذي تحرك من سمائل بحشد المجندين من حلفائه من الشمال بينما هاجم السيد سالم، الذي أخذ الفرس معه، نخل واستولى عليها. وبعد أن عززت قواته من قبل ابن عمه عزان بن قيس وعمه طالب مع أتباعهما مضى إلى سمائل التي استسلمت بحكمة وبعد وصول معلومات عن خسارة محمد بن ناصر لحصنه بدأ بالبحث عن مطلق المطيري وأخذ إلى حدود أراضي بني ياس وهو في طريقه إلى نجد.

وعن طريق الاحتجاجات وعرض مبلغ كبير أقنع الزعيم الوهابي بمصاحبته في عودته إلى حصنه في ازكي (ص ٢٩٧) حيث انضم إليه من خلال نفوذ مطلق عدد كبير من الرجال من قبائل الظاهرة الشمال وساروا من هناك حيث التقوا بالفرس والعرب تحت إمرة السيد سالم وهزموهم تماماً. وعقب هذا النجاح خرب المنتصرون وادي بني رواحة ولدى عودة مطلق إلى البريمي منح محمد منطقة سمد الكندي قرب نزوى. وفي البريمي وجد مطلق كلاً من تركي وفيصل أبناء سعود (٥٧)الأمير الوهابي اللذين جاءا إلى هناك مع جماعة من أتباعهما من

٥٧- أنظر إلى ٣١٨ والهامش ص ٣٤٥.

الإحساء والقصيم دون موافقة والدهم. وبعد أن سلم مطلق القيادة لهم شرعوا بتجنيد القبائل المجاورة وهاجموا الخضراء إلا أنهم ردوا إلى أعقابهم مع خسارة.

أما مطلق فلدى سماعه بهذه الهزيمة انضم لهم مرة أخرى وبعد أن استدعى النعيم وبنو قتب كما دعا محمد بن ناصر للانضمام إليه دون تأخير سار نازلاً باتجاه الساحل. وفي بركاء التقى بالسيد سالم وخيالته من الفرس وعقب ذلك اشتباك متقطع استمر ثلاثة أيام دون أية نتيجة حاسمة لأي طرف وأثناء اندفاعهم إلى الإمام نهب الوهابيون والمتحدون معهم مطرح واربق ثم حاصروا مسقط ومضوا بالقوة نحو الجبال حتى وصلوا صور ورأس الحد وهدموا الأبراج ونهبوا البلد وأحرقوا السفن وجمعوا مبالغ كثيرة من السكان. وبعد انتهاء الغارة عاد مطلق إلى البريمي.

نأتي الآن إلى أول مثال عن التدخل البريطاني المسلح في شؤون عمان والذي اقترن بالسيد سعيد. فبدفع من الوهابيين وسع القواسم (الجواسم) تحت زعامة رئيسهم حسن بن رحمة قرصنتهم حتى ساحل غرب الهند. إن حكومة الهند التي صممت على كبح هذه الاعتداءات وتخليص السيد سعيد من نفوذ الوهابيين أمرت بإرسال حملة إلى الخليج العربي . وقد وجهت أولى عملياتها ضد رأس الخيمة التي هي الاسم الجديد لجلفار(٥٨).وابتدأ الهجوم بالقصف في الثاني عشر من تشرين ثاني ١٨٠٩ ثم تكرر في اليوم التالي وعندما حدثت ثغرة في القلعة "اندفع المهاجمون واكتسحوا الحامية ونهبوا البيوت وأحرقوا السفن وحملوا معهم غنائم كثيرة وأخذوا حسن بن رحمة أسيراً".

٥٨-أنظر الملاحظة صـ ٣٢٢.

في أثناء ذلك استمر مطلق المطيري في سلبه لأراضي صحار بمعية محمد بن أحمد الذي كان يسيطر على حصن شناص. وبعد أن طلب السيد سعيد تعاون الإنكليز لإخضاع هذا المكان كذلك فقد وصلت قوات مشتركة إلى هناك في الحادي والثلاثين من كانون أول ١٨١٠ واستولت عليه في اليوم التالي بعد مقاومة بطولية. وطبقا لرواية محلية مضى محمد إلى البريمي حالما بدأ القصف طلباً لمساعدة مطلق وعاد مع مجموعة من الوهابيين إلا أنه كان عاجزا عن اختراق القوة المحاصرة ومات فجأة في تلك الليلة. علاوة على ذلك يبدو أنه بعد أن نزل الإنكليز مرة أخرى وحولوا الحصن المهاجم إلى السيد سعيد حذروه وشقيقه سالم وابن عمه عزان بأنهم سينزلون مرة أخرى إن رأوا غباراً في الجو.

وبعد ذلك تقدم مطلق بجيش كبير والتقى بقوات السيدين اللذين توجها إلى المصنعة على ظهر الخيل تحت ستار عاصفة من الغبار. ويبدو من المحتمل أن السفن الإنكليزية كانت قد أبحرت قبل وقوع هذا الهجوم.

وهكذا فالتدخل البريطاني كان لأجل إحباط الوهابيين . وهناك سبب آخر للغضب وهو إعادة تنصيب سلطان بن صقر كرئيس للقواسم في رأس الخيمة. لقد كان سلطان حليف الأمير سعود بن عبد العزيز لبعض الوقت غير أنه تخلى عن الاتحاد مع الوهابيين وانضم لمساعدة السيد سعيد . وحيث أنه وعد بمنع شعبه عن القرصنة فإن رجوعه للحكم قد وافق عليه الإنكليز " الذين أعطوه مالا كثيرا ووجهوه نحو بناء جلفار وساندوه في قراره بأن يتخلى عن تصرفاته السابقة".

إن مطلق المطيري الذي نزع نزوعا تاما نحو إخضاع عمان جمع قوة هائلة من القبائل الشمالية واستدعى محمد بن ناصر الجبري وحميد بن ناصر الغافري للانضمام إليه نحو المصنعة على الساحل. وتوقعا للغزو المحتمل كان السيد سعيد" قد طلب مساعدة الحكومة البريطانية. على أية حال إن الحكومة السامية ترى أن من غير العملي تقديم المساعدة دون أن تجعل الأمر يبدو بأننا متحدون في صراعنا مع القوة الوهابية التي تعتبر مناوءة لسياستنا المعلنة مراراً(٥٩)وعندما ترك السيدان لشأنهما لم يريا بدا من مقاومة مطالب مطلق بنجاح.

وطبقا لذلك تصالح عزان بن قيس و محمد وأحمد الذي كان يعمل لصالح والده الإمام سعيد في الرستاق. ولدى سماع السيد سعيد بخضوعهم قدم نفسه ، وهو وحيد أعزل من السلاح ، أمام مطلق في المصنعة حين تمت الموافقة على أن يتوقف الأخير عن إلحاق الأذى بأي فرد من شعب السيد .

ولدى عودة مطلق إلى البريمي جعل السيد سعيد له هدية مقدارها (٤٠٠٠٠) دولار لكن يبدو من المحتمل ومن بعض التصريحات عقب ذلك أن هذا المبلغ قد دفع كزكاة وهي المستحقات الإجبارية التي تستوفى لأغراض دينية وأنه اشترط ولنفس المناسبة مقدار ما يدفع سنويا من قبل عزان بن قيس عن صحار ومن قبل السيد سعيد لبقية عمان. ويبدو أن هذه الإتفاقية قد أبرمت حوالي منتصف عام ١٨١٠.

ان ابن غردقه الذي عين بعد فترة قصيرة كوكيل وهابي في عمان قد اغتيل من قبل بني ياس فأمر مطلق باستئناف منصبه. ولدى وصوله إلى البريمي وجد أن كل القبائل الشمالية قد تراجعت عن

٥٩- الخلاصة الرسمية بشأن مسقط وعلاقاتها مع الدولة الوهابية ، ص ٤.

الانضمام إليه " أساسا بسبب المطالب الكبيرة التي فرضها عليهم من أجل الحروب والغزوات ".

وفي محاولته لإخضاع الحجريين لطاعته قُتل من قبل أحد افراد تلك القبيلة وقد أبلغ شقيقه بتال المطيري خبر موته إلى سعود(٦٠) بن عبد العزيز ، الامير الوهابي فتم انتخاب ابن زرعه ليخلفه وهذا الأخير حين وصل إلى البريمي جند عشائر تلك المنطقة وتحرك إلى بهلاء بهدف المضي إلى بدية ولم يحدد سبب هذا الغزو المباشر بعد المعاهدة الأخيره إلا أن السيد سعيد سار بجيش ليقاوم هذه الغزوة. وبينما عسكر في مكان ليس بعيداً عن عدوه وصل رسول من مسقط إليه يخبره بموت ابن عمه عزان بن قيس في مخا على البحر الأحمر وهو في طريق عودته من الحج إلى مكة. ويتضح أنه قبل رحيله عهد عزان إلى أحد أفراد آل بو سعيد ووجهه بطاعة أوامر السيد سعيد وفي حالة موته يسلم القلعة له .

إن سعيد الذي قرر أن تكون له الأفضلية مضى وجرد ابن عمه أحمد وهو ابن الإمام سعيد. الذي كان قد تزوج ابنة قيس، والذي سارع لدى سماعه بموت عزان بالقدوم من الرستاق إلى صحار على أمل ضمانها. وبعد أن وجد السيد سعيد مستحوذا عليها عاد إلى الرستاق ومنذ ذلك الحين فصاعدا اعتبر السيد سعيد صحار كجزء لا يتجزأ من ممتلكاته فمنذ عهد أحمد وهو أول إمام من آل بو سعيد والذي يبدو قد حولها كولاية إلى ابنه الثالث قيس- تلك الهدية أكدها صراحة خليفته- أصبح هذا المكان بالفعل ولاية مستقلة بفضل سيادته على عمان أو بفضل توريث عزان له قد تم التنافس عليها من قبل الأحفاد المباشرين للأخير ولعدة سنوات بعد ذلك. إن انقلاب الحظ

٦٠- عن طريق الحذف يرد الأسم " عبد العزيز في الرواية ، ص ٣٢٨

الذي شهدته حكومة نجد عام ١٨١٣ على يد محمد علي باشا في مصر والذي طرد عبد الله ابن الأمير سعود من الحجاز وموت سعود نفسه عام ١٨١٤ وتدمير الدرعية بعد خمس سنوات من قبل قوات ابراهيم باشا حينما أخذ عبد الله الذي كان قد خلف والده أسيرا ثم أعدم بقطع رأسه عقب ذلك في الأستانة ، إن مثل هذه الكوارث المحلية وغيرها قد أرغمت الوهابيين على استبعاد سياستهم العدوانية الخارجية وارتاحت عمان من انتهاكاتهم قرابة عشرين سنة .

خلال هذه المرحلة يبدو أنه قد حدث تصالح بين السيد سعيد وحميد بن ناصر وهو رئيس قبيلة بني غافر ومحمد بن ناصر الجبري وكلاهما حلفاء الوهابيين فتمتع العرب بهدوء نسبي وقد قام رؤساء اليعاربة بمحاولتين أو ثلاث لاستعادة نخل إلا أنهم ردوا على أعقابهم نتيجة الخيانة وليس عن طريق السلطة الشرعية من جانب السيد سعيد. في عام ١٨١٦ شعر بالأمان الكافي في بلده ليتعهد بحملة ضد البحرين وهي جزيرة كان يميل إلى ضمها إلى الدولة العمانية إلا أنه رُدّ على أعقابه من قبل العتوب وتحمل خسائر كبيرة بما في ذلك شقيقه الأصغر حمد بن سلطان وعدداً من كبار ضباطه.

إما مباشرة بعد أو قبل الإطاحة بعبد الله بن سعود عام ١٨١٩ جاء بتال المطيري من نجد إلى البريمي بقوة كبيرة من الفرسان بهدف تسنم موقع مستقل في تلك القلعة الحدودية المهمة . وقد أحاط محمد بن ناصر وسويلم بن سالم والي نخل وبأوامر من السيد سعيد الغزاة الذين لم يستسلموا ووافقوا على تدمير الحصن بل كذلك الخدمة مع السيد لأننا نجد بتال المطيري وأتباعه يحاربون بشجاعة إلى جانبه في قضية بني بو علي والتي حدثت بعد فترة قصيرة من ذلك.

وفي أثناء ذلك وكما نعلم من الحوليات المعاصرة لحكومة بومباي " فإن حملة بريطانية أبحرت من بومباي تحت إمرة الجنرال كير حوالي نهاية عام ١٨١٩ وبتعاون إمام مسقط (السيد سعيد) دُمرت هذه الحملة واستولت على كل الزوارق والسفن والمعاقل الرئيسية لرؤساء القراصنة، إن الرعب الذي ألهمه نجاح الجيوش البريطانية بالاستيلاء على رأس الخيمة قد دفع بالشيوخ العرب الأقوياء بإرسال عروض بالإذعان غير المشروط إلى الجنرال كير. وفي الثامن من كانون ثاني ١٨٢٠ أبرمت اتفاقية سلام عامة مع كل رؤساء العرب في الخليج حيث احترمت بنودها نوعا ما منذ ذلك الحين"(٦١).

لقد قدمت المساعدة البريطانية إلى السيد سعيد في السنة التالية ويبدو أن بني بوعلي استقرت ليس بعيدا عن ساحل جعلان قد رفضت الاعتراف بسلطة السيد. علاوة على ذلك فإن بعض اتباعها في الأشخرة وهي قرية ساحلية كبيرة أسفل رأس الحد كانوا قد نهبوا عدة سفن إنكليزية ودمرت بجوارهم .

ولغرض معاقبة هذه الانتهاكات أنزلت قوة بريطاينة مكونة من ستة سرايا من السباهيين (هنود مجندين في الجيش الإنكليزي) وثمان مدافع في صور حيث انضم إليهم ٢٠٠٠ عربي تم جمعهم من قبائل مختلفة وبإمرة السيد سعيد شخصياً. وفي التاسع من تشرين الأول ١٨٢٠ هاجم الجيش المشترك موقع العدو ولكنه دمر بالكامل. إن الكتيبة البريطانية التي اشتبكت بالفعل قد أبيدت كما ان السيد سعيد الذي أشيد بشجاعته الكبيرة في تلك المناسبة قد أصيب في يده في محاولة لإنقاذ مدفعي. وفي نفس الليلة حاول العدو أن يفاجئ

٦١- خلاصة بشأن مسقط وعلاقاتها مع الدولة الوهابية ، ص٧.

المعسكر المتخندق للبريطانيين مما أدى إلى تراجع أغلب حلفائهم العرب.

وعندما أدرك السيد أن نصل شجاعة الانكليز قد ثلم وأن أعدادهم قد تضاءلت بشكل كبير أمر بالتراجع فعاد هو والإنكليز إلى مسقط " في السابع عشر من شهر تشرين الأول ومن هناك رحل الإنكليز إلى بومباي. ولإثبات الهوية القومية فإن حملة ثانية بإمرة لايونيل سميث قد أرسلت إلى صور حيث انضم اليها مرة اخرى السيد سعيد ومجندوه من العرب وقد تم تأجيل هذه الحملة لمدة ثلاثة ايام من أجل السماح للسيد بإقامة الحداد على روح شقيقه الأكبر سالم الذي وصلت أنباء موته إلى ذلك المكان.

وتخبرنا الرواية كذلك عن موت الإمام سعيد ابن الإمام أحمد البوسعيدي وعم السيد سعيد الذي قد حدث ١٨١١- ١٨٢١ (انظر الهامش ص٣٢٣،٣٢٥) ويبدو أن ابنه أحمد قد خلفه في حكم الرستاق إلا أنه جرد من ملكيتها من قبل عمه طالب الذي يذكر أن السيد سعيد قد أوصى بتعيينه في هذه المنطقة. وسيلاحظ القارئ أنه برغم موت الإمام سعيد فإن أي فرد من آل بو سعيد أو أي شخص آخر لم ينتخب ليخلفه في الإمامة. ولا يزال ابن اخيه سعيد الذي كان عاهلا والحاكم المطلق لعمان منذ وفاة والده سلطان يحتفظ بلقب السيد.

إن حملة الفريق السير لايونيل سميث قد أنقذت مكانة البريطانيين . فقد هاجمت الفرقة التي كانت بإمرته موقع بني بوعلي وحلفائهم في الثاني من آذار عام ١٨٢١ وقتلت وجرحت خمسمائة من أفراد العدو وأسرت البقية ومن ضمنهم محمد بن علي وشقيقه. ومات الأخير متأثراً بجراحه وهو في طريقة إلى مسقط كما أن ثمانين من

الأسرى الذين جيء بهم إلى هناك من قبل السيد سعيد قد احتجزوا في القلعة الشرقية و من ناحية أخرى فإن محمد بن علي والسجناء الآخرين " الذين أسروا من قبل الإنكليز وأخذوا إلى الهند كانوا احرارا وتم الاعتناء بهم كما حظي الجرحى بأفضل علاج وعاش الجميع في راحة كبيرة في بومباي" .

علاوة على ذلك وبعد سنتين " سمح الإنكليز لمحمد بن علي وأتباعه بالعودة إلى ديارهم وأعطاه حاكم بومباي الكثير من المال ليتمكن من بناءَ مدينته وأرسله في سفينه انكليزية إلى مسقط وكتب إلى السيد سعيد كي يغفر له. وقد وافق السيد على كل ذلك فعاد هؤلاء طبقا لذلك إلى جعلان وأعيدوا إلى وضعهم السابق.

وحوالي هذه المدة وطبقا لكاتب الحوليات لدينا فقد تم تعيين سعد بن مطلق كوكيل وهابي في عمان من قبل تركي وفيصل " وهم أولاد سعود " الذين يبدو أنهما كانا يحكمان بشكل مشترك لبعض الوقت واحتلا البريمي مرة أخرى. أما بلكريف فإنه على أية حال جعل تركي بن عبدالله بن سعود وخليفته (انظر الهامش ص٣٤٥) وكذلك فعل الملازم هانيل الذي يذكره في بحثه عن الوهابيين في منتخبات الحكومة الهندية (جـ ٢٤ ، ص٤٣٧) تحت اسم تركي بن عبد الله ، المعروف بشكل عام باسم تركي بن سعود ". إن تركي الذي أخذ أسيرا من قبل إبراهيم باشا عام ١٨٩١ هرب في السنة التالية وبدأ بالتحرش ببني خالد الذين أقاموا في الإحساء والقطيف عن طريق المصريين . وقبيل نهاية عام ١٨٢٤ نجح في الاستيلاء على الرياض واستعاد جزئياً سيادة الوهابيين.

ان الظروف السابقة هي التي مهدت لإعادة احتلال البريمي من قبل سعد بن مطلق حيث تم الاعتراف بسلطته من قبل قسم من عرب

الشمال وسكان الظاهرة. وسار بصحبة جمع من هذه القبائل وحتى وصل بهلاء ومضى من هناك ليهاجم الحجريين الذين ذبحوا والده في معركة قبل بضع سنوات (ص٣٢٧). ولدى عودتهم إلى البريمي أعاد بناء القلعة واعتذر أمام السيد سعيد لغارته على عمان.

في عام ١٨٢٨ ناشد تعاون الوهابيين وأرسل الرسل بهذا الشأن إلى الرياض. علاوة على ذلك "فإنه يقال لم يعترف بسيادة الزعيم الوهابي ولكنه رحب باستعداده لرفع الزكاة أو العشر الذي يجمع من أتباعه".وعلاوة على ذلك فإن" الزعيم الوهابي حول مدخولات الإمام (السيد سعيد) لحسابه وعرض على زعيم العتوب الذي كانت البحرين بحوزته خيار الحرب أو الاستسلام . فتم القبول بالاستسلام و أصبح مجمل الساحل العربي خاضعا للوهابيين في وقت قصير ".

وليس هناك أي تلميح في منتخبات الحكومة الهندية لمثل هذه الصفقات ، ولعل مؤرخنا المحلي يصمت حول هذا الموضوع. رغم أنه يصف بدقة العمليات العسكرية للسيد سعيد ضد القواسم من عام ١٨٢٩ حتى عام ١٨٤٤ انشغل السيد سعيد بتوحيد أراضيه على الساحل الشرقي من افريقيا. ويبدو أن زيارته الأولى إلى زنجبار قد كانت في نهاية السنة السابقة حين صاحب حملة ضد ممباسا عندما لم تسمح الحكومة الهندية بتلبية احتياجاته بموجب الاتفاقية التي كان الكابتن أوين آمر الفرقاطة الملكية لفين قد أبرمها قبل خمس سنوات مع المستوطنين العرب هناك والتي وضعوا بموجبها تحت الحماية البريطانية. وحتى ما بعد الهجوم الثالث الذي نجح سموه فيه أخيرا بإخضاع ممباسا وذلك عن طريق القبض على أبرز رجال المزاريع وهم قبيلة عمانية كانت تملك هذا المكان منذ فترة طويلة الذي يخضع

اسمياً للعاهل العماني إلا أنه مستقل عن سلطته. وقد تم ترحيل هؤلاء الرجال إلى جزيرة هرمز في الخليج العربي " حيث ماتوا عقب ذلك " على الأغلب.

أما سكان سيوي قرب براوة وهو مكان قوي على نفس الساحل وبعد " أن فصلوا ارتباطاتهم " فقد خضعوا كذلك عن طريق محاولتين قام بهما السيد سعيد غير أن قواته مع ذلك أبعدت وردت في كلا المحاولتين وتحملت خسائر جسيمة (انظر ص ٣٥٥ ،٣٦٠).

ومنذ تلك الفترة ، ١٨٤٤ كتب العقيد ركبي أن السلام قد تم المحافظة عليه مع بعض القلاقل التي حدثت في بعض الأقاليم الافريقية الشرقية التابعة للسيد واتسم هذا السلام بازدهار نسبي.

من ناحية أخرى فإن الغياب المتكرر للسيد في زنجبار التي جعلها محل إقامته الرئيسية تمخض عن سلسلة من القلاقل في عمان مما أضعف سلطته في تلك الأنحاء. وفي زيارته الثالثة إلى زنجبار عين ابن اخيه سالم والياً على مسقط وصحار وبصلاحيات كاملة لإدارة الحكومة خلال غيابه ، إلا أنه راوده بعض الشك من ابن عمه هلال بن محمد الذي كان حاكما لولاية السويق مما أدى إلى القاء القبض عليه وسجنه قبل رحيله.

وبعد فترة ليست طويلة دعي ابن عمه الثاني حمود بن عزان الذي كان والده قد نقل صحار إلى السيد سعيد (ص ٣٢٨) وذلك من قبل السكان للاستيلاء على ذلك المكان وفعل ذلك دون مواجهة أية معارضة من قبل الحامية. وعقب ذلك هاجم حمود وبنجاح شناص والخابورة ولكنه صد في محاولته للإستيلاء على مسقط عن طريق وصول محمد بن ناصر إلى هناك مصادفة مع ١٥٠٠ من نزارية سمائل نجح في ردهم من المدينة عن طريق الطلب الجاد لعم السيد طالب بن

أحمد والي الرستاق والسيدة عمته التي يبدو أن لها نفوذاً كبيراً في الحكم. علاوة على ذلك فإن تحالف محمد بن ناصر مع السيد أقنع بعض المتحالفين معه من قبائل الشمال على كبح حمود عن طريق القيام بتحرشات في أراضي صحار.

إن أول عمل للسيد سعيد لدى عودته من زنجبار عام ١٨٣٠ وعقب هذه القلاقل هو إطلاق سراح ابن عمه هلال بن محمد وإعادته إلى السويق. ثم جمع قوة كبيرة ومضى إلى صحار بهدف مهاجمة تلك القلعة إلا أن صلحا عقد بين الطرفين كما وافق حمود التخلي عن " كل ادعاء بالسلطة المستقلة وتعهد بعدم القيام بأي شيء بدون أوامر منه" وطبقا لتقرير رسمي إنكليزي عن هذه الصفقة فإن السيد " أبرم إتفاقية مع السيد حمود تخلى فيها عن صحار مقابل أتاوة سنوية هي ٨٠٠٠ كراون الماني. أما مدينة شناص فقد أعيدت إلى سموه".(٦٢) ويذكر نفس المصدر هجوما آخر على صحار من قبل السيد سعيد في السنة التالية بمساعدة رئيس القواسم سلطان بن صقر وراشد بن حمود في عجمان الذين ساعدوهم ماليا في تلك المناسبة . كما اتخذ خطوات" للتصالح مع الزعيم الوهابي عن طريق إرسال هدايا كبيرة له.

لقد فشلت هذه الحملة الثانية وكانت الخسارة من جانب السيد كبيرة بحيث أنه" رأى أن من الحكمة أن يلغي كل المشاريع التالية وحرص على السلام على نفس الشروط كما في الإتفاقية السابقة وعاد إلى مسقط مع أمواله وسمعته بسبب محاولته الأخيرة غير المحظوظة". (٦٣) ولدى مغادرته إلى زنجبار عين السيد ابنه الثاني هلال والياً على مسقط وأوصاه بعدم اتخاذ أية خطوة مهمة دون استشارة ابن

٦٢- منتخبات حكومة بومباي ، رقم ٢٤ ، ص ٢٠١-٢٠٢.
٦٣- نفس المصدر السابق ، ص٢٠٢

عمه محمد بن سالم. وبشكل مماثل وضع بركاء بيد ابن عمه الثاني سعود ابن علي بن سيف وهو حفيد الإمام أحمد. ولم يكد يغب فترة طويلة حينما قبض سعود غدراً على كل من هلال ومحمد حين قاما بزيارة له في بركاء ثم مضى من هناك لمحاصرة المصنعة وقام اخيرا بالاعداد لمهاجمة مسقط حيث لجأت عندها السيدة مرة أخرى إلى مساعدة محمد بن ناصر فحصلت على إطلاق السيدين هلال ومحمد عن طريق دفع فدية كبيرة.

وطبقا للحوليات المعاصرة لحكومة بومباي أصبحت سلطة السيد سعيد في عمانٰ في تلك الفترة مهددة فقد استولى سلطان بن صقر رئيس القواسم - مستفيدا من القلاقل في ذلك البلد- على خورفكان ودبا وجميعها موانىء على ساحل الباطنة كما أن السيدين حمود بن عزان في صحار وهلال بن محمد في السويق قد فكرا بالهجوم على الرستاق وهي العاصمة الداخلية. وتحت هذه الظروف لم تضع الحكومة البريطانية أي وقت فبعثت بقوة بحرية لكبح مخططات أعداء السيد سعيد وتقديم المشورة والإسناد للحكومة الموجودة ومن خلال هذا التدخل تمت السيطرة على الأحداث التالية دون شك(٦٤).

وبعد عودة السيد سعيد إلى مسقط في العاشر من أيلول ١٨٣٢ تم التوصل إلى حل وسط من خلال سلطة محمد بن ناصر وأمن بموجبها سعود على إعادة حصن بركاء إلى السيد وحصل مقابل ذلك على ولاية الرستاق التي أصبحت شاغرة بعد موت عمه السيد طالب بن أحمد. وقبل أن يشد سموه الرحيل إلى زنجبار عين ابنه الثالث ثويني واليا على مسقط.

٦٤- منتخبات حكومة بومباي ، رقم ٢٤، ٢٠٤-٢٠٦.

رغم أن مؤلفنا لم يشر إلى أي ملاحظة عن هذه الحقيقة إلا أنه ليس هناك شك أن نفوذ الوهابيين في تلك الفترة كان آخذاً في التصاعد. فتركي بن سعود، أميرهم الذي نجح في إعادة تأسيس سلطته في نجد قد اتخذ خطوات لإعادة تأكيد ادعاءاته في عمان بالتعاون مع أغلب قبائل الشمال " إن الإمام الذي وجد الخطر محدق بوحدة بلاده رأى أن أفضل سياسة هي في إقامة صلة أو ثقة مع زعيم الوهابيين. فتم الإتفاق حسب ذلك (كما موضح في رسالة مكتوبة من قبله إلى المقيم في الخليج العربي والمؤرخة في الثالث والعشرين من مارس ١٨٣٣) على دفع فدية مقدارها ٥٠٠٠ كراون ألماني سنوياً إلى الزعيم الوهابي وإن لكل واحد منهم أن يمتلك ساحله طبقا للحدود الموجودة أنذاك – فتوسع الإمام (السيد) حتى جعلان والزعيم الوهابي حتى القطيف. وعلاوة على ذلك فقد اتفقا بالالتزام بشكل متبادل على المساعدة في كبح أي تمرد يحصل في أرضيهما"(٦٥).

لم يمض على السيد سعيد وقتاً طويلاً في زنجبار قبل أن تدفعه مجددا القلاقل الجديدة للعودة إلى عمان. فالسيد سعود واليه في الرستاق قد قتل غدراً حينما كان نائماً في جامع من قبل ابن عمه السيد سلطان على أمل أن يخلفه فيما يعتبره إرثا فسار السيد حمود بن عزان إلى صحار مستفيداً من الفرصة ومضى إلى هناك بقوة كبيرة واستحوذ على المكان. إن أول محاولة للسيد سعيد لإكراه حمود قد فشلت فجمع له حشد كبير من الرجال وعسكر معهم في المصنعة. على أية حال بعد أن وجد أن الأغلبية ترفض الانضمام إليه في هذه الحرب ضد حمود وجه محمد بن ناصر لشراء قبائل الشمال بالمال قرابة ثمانين شيخاً مع عدة آلاف من الأتباع ومضى على عجالة للانضمام

٦٥- الخلاصة الخاصة بمسقط وعلاقاتها مع الدولة الوهابية ، ص٩.

إليهم. وخشية من الانتقام الذي أثاره هو نفسه " وعندما لمح السيد سعيد الذي كان جالساً في سفينة هذا الحشد الهائل ينزل إلى صحار بدأ يخشى من أن يسيطروا على المكان " وفضل المصالحة مع حمود.

وبعد ذلك سرح المجندين ووزع " الاف الدولارات بينهم بالإضافة إلى كسوة وغيرها من الهدايا" تبدو هذه الأحداث وقد حصلت في عام ١٨٣٤، أي السنة التي أغتيل فيها تركي الأمير الوهابي من قبل ابن عمه مشاري الذي اغتصب الحكم حتى تم اغتياله هو بدوره من قبل فيصل بن تركي الذي خلفه في الحكم . في عام ١٨٣٦ وحسب السجلات الرسمية لبومباي فقد قام السيد سعيد بمحاولة أخرى لإكراه حمود بالتعاون مع سعد بن مطلق الوكيل الوهابي في عمان الذي انضم مع ٢٠٠٠ رجل من اتباعه من قبائل مختلفة وحاصر صحار براً بينما حاصرها السيد سعيد بحرا. على أية حال لقد استبعد هذا الحصار بسرعة" عقب اقتناع سموه بحقيقة الإتصال الذي تم عن طريق مبعوث من المحاصرين يعلن سقوط صحار، ورغبة الوكيل الوهابي للإحتفاظ بها باسم رئيسه فيصل"(٦٦). مع ذلك فإن المؤرخ المحلي يشير إلى أنه قبيل عودة السيد إلى زنجبار تم إرسال سفينة من قبل الحكومة الإنكليزية وجلب قائدها حمود إلى مسقط حيث قدم " وعداً خطياً بأنه لن يثير أي صراع ضد السيد وأولاده وأنه لن يشترك في أية قلاقل ضد هلال بن محمد بن الإمام احمد في السويق.

ارتاحت عمان مرة أخرى ولعدة سنوات من ضغط جيرانها الوهابيين عقب الإطاحة بسلطتهم مجددا من القوات المصرية التي سيطرت وبمساعدة الشيخ خالد ابن عم فيصل وخصمه على جميع

٦٦- منتخبات حكومة بومباي ، رقم ٢٤ ، ص٢٠٨.

مقاطعة نجد. استسلم فيصل لرئيس الأركان المصري عام ١٨٣٨ إلا أنه عاد إلى الرياض عام ١٨٤٣ ونجح في تنصيب نفسه أمير شرعياً للوهابيين." وبعد ذلك أعلن لرؤساء المناطق الداخلية في عمان عن نيته في جعل عمان تحت سلطته ويبدو أن هذا الاتصال قد تم تلقيه بارتياح من قبلهم.

فخاطب المقيم في الخليج العربي في نفس الوقت معبراً عن رغبته بتجديد العلاقات الودية الموجودة بين والده تركي والحكومة البريطانية"(٦٧).[٦٧]

وخلال الفترة المذكورة أعلاه تخلصت عمان من العدوان الخارجي وأصبحت مرة أخرى ضحية معارضة داخلية. فقد تشجع حمود بن عزان الذي كانت بحوزته صحار والرستاق بفشل حملة السيد سعيد عام ١٨٤٤ ضد سيوي" بالكتابة إلى رعايا السيد يحثهم على الإطاحة بسلطته." إن موت محمد بن ناصر في تلك الفترة وهو من أكثر مؤيدي السيد ثقة ونفوذاً قد أزال واحداً من أكبر العوائق التي كان يتعين عليه أن يتفق معها ومع ذلك وبالنظر للدعم الودي الذي كانت السلطات البريطانية تقدمه دائما إلى الحكومة الموجودة فقد رأى أن من الحكمة استشارتهم قبل القيام بأية أعمال أخرى فذهب هو بنفسه إلى بومباي ليطلب منهم عدم التدخل في النزاع بينه وبين السيد سعيد. وعندما وجد أن الإنكليز يعتبرونه ملزما بوعد تحريري كان قد قدمه سابقا وبموجب رغبتهم " باستبعاد أي اداء بالسلطة المستقلة "، عاد حمود إلى صحار وعاش لفترة من حياته كزاهد ووضع الحصن بيد ابنه سيف بن حمود.

٦٧- الخلاصة الخاصة بمسقط وعلاقاتها مع الدولة الوهابية ، ص ١٠،١١ .

وفي هذه الفترة جرت محاولة مجهضة من قبل رؤساء آل بو سعيد لتنصيب إمام منهم يعهد إليه بالسلطة العليا" أو بعبارة أخرى لإقامة الإمامه التي كانت معطلة منذ موت الإمام سعيد بن احمد. وربما بسبب نزوعه الجديد إلى الورع والتقوى هذا الشرف قد منح لحمود الذي قبله لأول مرة ثم رفضه عقب ذلك ولدى تركه صحار والمناطق التابعة لها بعهدة ابنه ثم وضع مرشحاً من قبله على الرستاق ثم ذهب ليتقاعد.

أما سيف الذي كسب محبة الناس في صحار فقد بدأ يتحدى سلطة والده ورفض أن يعطيه جزءاً من العائدات وطور علاقات ودية مع السيد ثويني والي مسقط. ولغضبه من هذا السلوك فقد حرض حمود بعضاً من ضباطه لاغتيال ابنه لكي يستعيد الحكم على صحار. وقد ارتكب هذا العمل عام ١٨٤٩.

أما السيد سعيد الذي قدم تقريراً مفصلا عن أعمال حمود إلى السلطات الإنكليزية" خرقاً للاتفاقية التي أبرمها معه من خلال تدخلهم " بحيث أن الإنكليز تركو الحرية المطلقة له للتعامل مع المعتدي كما يرغب وبناءاً على ذلك وجه ابنه ثويني ليتحرك ضده فقبض عليه ثويني على الساحل قرب شناص" بعد سلسلة من الجهود يطول شرحها" كما يذكر مؤرخنا وجاء إلى مسقط واحتجزه في الحصن الشرقي حيث مات بعد فترة قصيرة لسوء المعاملة على الأغلب وهي المعاملة الإعتيادية التي يتعرض إليها السجناء. إن موت حمود لم يجعل ثويني يتمتع بامتلاك صحار حيث أن قيس بن عزان شقيق المتوفى قد خلفه ورد على دعوة ثويني بالاستسلام بتحية من بطاريات المدفعية اقنعته بالعودة إلى مسقط (٦٨).فانتظر كهلان بن

٦٨- منتخبات حكومة بومباي ، رقم ٢٤ ، ص٢٢٨.

سيف بن علي قائد حصن شناص والذي شك بكونه كان شريكا بالقبض على شقيقه من قبل ثويني واكتشافه في أحد الأيام في صحار.

أصبح الطرفان مستعدان للحرب: قيس بن عزان طلب مساعدة سطان بن صقر ، زعيم القواسم الذي مضى لمحاصرة شناص بينما السيد سعيد الذي كان قد عاد في ذلك الوقت من زنجبار بعث رسائل يطلب فيها من جميع القبائل الصديقة أن تتعاون معه. كما نجح في اقناع سلطان بن صقر بترك تحالفه مع قيس. ويوضح مؤلفنا في هذه المناسبة عام ١٨٥١ أن الوهابيين لم يشاركوا في الصراع لأن الفدية التي طلبوها قد دفعت في الوقت المناسب من قبل قيس وثويني لكل من صحار ومسقط على التعاقب وابتدأت الحملة لصالح السيد سعيد الذي استولى على حصن الخابورة .

أما قيس الذي لازال في صحار فقد رفض كل الاقتراحات غير أن وصول الشيخ مكتوم في الوقت المناسب مع قوة طوارئ من بني ياس أعاد الاستيلاء على شناص لصالح السيد سعيد وحول فرصة الفوز بالحرب وبشكل حاسم ضد قيس بحيث طلب المصالحة وسلم حصن لوى إلى السيد ثويني كمكافأة عن إخلاصه. وحسب شروط الاتفاقية التي أبرمت بين الطرفين عقب ذلك سلم قيس بن عزان صحار إلى السيد سعيد واستلم الولاية على الرستاق وقرر عدم القيام بأية أعمال تعبر عن عدم الولاء مستقبلا. ولدى عودة السيد سعيد إلى زنجبار يبدو أنه قد عين ابنه الثالث تركي لولاية صحار والتي وضعت لأول مرة تحت تصرفه المطلق.

من المدهش أن مؤرخنا المحلي لم يذكر أي تدخل وهابي في شؤون عمان أكثر من تصريح في الفقرة التالية منذ عام ١٨٢٦ حتى

ذلك الوقت أي عام ١٨٥٢. في عام ١٨٤٣ وكما ذكر في سجلات حكومة بومباي (كما ذكر في ص ٨٨) كان الأمير فيصل بن تركي قد نجح في فرض سيطرته على عموم نجد وعبر عن نيته في استعادة موقعه السابق في عمان. وبعد سنتين وحسب نفس التقارير واستفادة من الانقسامات التي سادت بين أفراد عائلة السيد سعيد فإنه بعث بقوة إلى تلك المقاطعة تقدم بمطالب من السيد ثويني ابن السيد سعيد ومبعوثه إلى مسقط وكذلك من ابن عمه حمود بن عزان والي صحار" في أثناء ذلك فإن وجود طرادنا الحربي على ساحل الباطنة والتدخل الودي للمقيم في الخليج العربي كان له أثر في إقناع الزعيم الوهابي على قبول الشروط المقدمة من قبل السيد ثويني الذي وافق على تجديد الفدية السنوية باسم والده والبالغة ٥٠٠٠ كراون ألماني ثم دفع مبلغ إضافي مقداره (٢٠٠٠) على هذه المناسبة "(٦٩).

يبدو أن هذه الفدية قد كانت تدفع بانتظام منذ ذلك الوقت حتى انتهاء الحرب عام ١٨٥٢ بين السيد سعيد وقيس بن عزان حاكم صحار إلا أنه لدى عودة الأخير إلى زنجبار في نهاية تلك السنة بعث الأمير الوهابي وكيله السديري إلى البريمي وأوصاه بوضع طلبات تعجيزية على السيد ثويني والتي دعمها بالسيطرة على جميع المناطق الشمالية. وحسب ظن مؤلفنا فإنه وافق على قبول مبلغ (الأتاوة) الذي كان السيد سعيد يدفعه سابقاً إلى أبناء سعود.

ويشير ذلك ربما إلى الاتفاق بين السيد سعيد ومطلق المطيري عام ١٨١١ (انظر ص ٣٢٤-٣٢٥) حيث لم يتضح المقدار المحدد دفعه. غير أن سجلات حكومة بومباي هي أكثر وضوحاً بشأن ما حدث في هذه المناسبة. " إن التدخل النشط للمقيم (في الخليج

٦٩- الخلاصة الخاصة بمسقط وعلاقاتها مع الدولة الوهابية ، ص١١

العربي) في تلك الفترة والدعم المعنوي المقدم من قبل حكومة مسقط عن طريق ظهور سفينة حربية على الساحل العربي أقنع الزعيم الوهابي بالدخول في مفاوضات انتهت باتفاقية تحالف دفاعي هجومي بين السيد ثويني وعبدالله بن فيصل وافقت بموجبها حكومة مسقط على أن تدفع للأمير الوهابي فدية سنوية تقدر بـ ١٢٠٠٠ كراون إضافة إلى ديون متأخرة تصل إلى ٦٠٠٠ (أو ٦٠٠٠٠) كراون والتجهيز الاعتيادي للمخازن . أما الأمير الوهابي فقد عاهد نفسه بمساعدة ثويني في كل ساعة عصيبة وأن حدود مناطق أي منهما تبقى كالسابق "(٧٠).

وحسب التقرير الرسمي الذي أعده الكابتن السير أرنولد كمبال عام ١٨٥٤ فإن مبلغاً إضافياً هو ٨٠٠٠ كراون كان يتعين دفعه إلى السيد سعيد عن صحار التي عادت إليه من خلال ترتيبه مع قيس بن عزان كما هو موضح مسبقاً.

وعند نهاية عام ١٨٥٤ طرد الفرس سيف بن نبهان ومسؤولي السيد والحاميات من بندرعباس والمواقع المحصنة الأخرى على ساحل كرمان واحتلوها بالقوة. إن الحكام قد استفادوا من هذه الأماكن في عهد حكومة الشاه مقابل مبلغ سنوي مقداره ٦٠٠٠ تومان وبعد قرابة قرن فإنهم اعتبروا أنفسهم اقطاعيات أبدية وخاضعين لدفع الإيجار المحدد وغير مسؤولين أمام السلطات الفارسية. إن ميناء جمبرون الجديد الذي سمي بندر عباس كان أهم محطة في هذا الامتياز لأنه من هناك كان الشاه عباس قد نقل تجارة هرمز بعد طرده للبرتغاليين عن تلك الجزيرة عام ١٦٢٢ وساعدته في ذلك قوة بريطانية تعود إلى شركة الهند الشرقية .

٧٠- خلاصة ، ص ١٢، ١٣.

في عام ١٧٩٨ كانت تلك الاقطاعية تحت حكم السيد سلطان ابن أحمد حاكم عمان آنذاك الذي دخل في اتفاقية مع البريطانيين (٧١)لمنحهم الامتيازات الاستثنائية التالية " في ميناء بندر عباس (جمبرون) متى ما رغب الإنكليز في إقامة مصنع (وكالة أو محطة تجارية) فليس لدي اعتراض عن تحصينهم ذلك وتركيب المدافع بأي عدد كان وأن يعيش أربعون أو خمسون إنكليزياً مع سبعمائة أو ثمانمائة جندي هندي إنكليزي". وعلاوة على ذلك ففي هذه الفترة منح السيد سلطان إجازة بإقامة محطة بحرية بريطانية في باسادو (باسادور) على جزيرة قشم وبقرار من حكام عمان منذ ذلك الحين.

وبينما كان موقف العمانيين على هذه الشاكلة ضمن حدود الاقطاعية القديمة فإن استئنافاً مفاجئاً لسيادة الفرس عليها قد اعتبر من قبل السيد سعيد عملاً عدوانياً غير مبرر ويقتضي إجراء الاستعدادات لمواجهته. وقد تم إرسال حملة عسكرية تحت قيادة السيد ثويني ونجحت في الاستيلاء على بندر عباس وغيرها من الأماكن.

غير أن الفرس الذين حصلوا على تعزيزات كبيرة من الداخل وبينما الحلفاء العرب للسيد سعيد على الساحل المقابل قد منعوا من الانضمام إليه نتيجة للإجراء الذي فرضته الحكومة البريطانية على التحركات المسلحة بحراً من طرف الرؤوساء الصغار الذين يحتلون المناطق الساحلية في الخليج العربي فقد تعين على السيد أن يتنحى قليلاً وأن يقدم أفضل الشروط مع المنتصرين.

٧١- مؤرخ في الثاني عشر تشرين الأول ١٧٩٨ انظر منتخبات حكومة بومباي ، رقم ٢٤ ، ص٨-٢٤٩

ويوضح مؤلفنا أنه بموجب اتفاقية السلام التي أبرمت عقب ذلك بين الطرفين " يعيد الفرس إلى السيد سعيد جميع المواقع التي كانت بحوزته سابقاً ". غير أنه فاته أن يذكر أن ذلك قد تم وفق أية شروط. إن هذه الشروط كما سنرى من فحوى الاتفاقية أدناه (٧٢) كانت في غير صالح السيد سعيد : فقد دفع مبلغ الإيجار السنوي من

٧٢- الخلاصة التالية لبنود هذه الاتفاقية المؤرخة " في شهر شعبان ١٢٧٢هـ" (نيسان ١٨٥٦) مأخوذه عن النسخه العربية المقدمة إلى المحرر من قبل السيد ثويني عام ١٨٦١: الإعلان بأن بندر عباس والأراضي التابعة له وكذلك الجزيرتين البحريتين (قشم وهرمز) مع ايسين وطازيان وشمين وميناو وبيابان هي أماكن تعود إلى الحكومة (الفارسية) السامية بإمكان إمام مسقط أن يعين نواب عليها لمدة عشرين سنة. وأن الحاكم المبعوث من قبلهم على بندر عباس يجب أن يقدم فروض الطاعة لحاكم شيراز.

وإن إيجار هذه الأماكن بما في ذلك بعض العطايا الثابتة هو ١٦٠٠٠ تومان. ويجب ردم الخندق حول بندر عباس وإنشاء خندق آخر غيره. ولدى انتهاء مدة العشرين عاما يجب إعادة هذه الأراضي إلى فارس التي من صلاحيتها أن تقرر ما إذا كان سيتم لسلطان مسقط أم لا. وإن رغب حاكم فارس أو حكام كرمان في أية مناسبة مهمة إرسال قوات إلى كوش (كونداقا) أو مكران أو بلوشستان فإنها لا بد أن تعامل بنفس الاحترام الذي يقدم للحكام وأن يتم تجهيزها بالمؤنة والأدلاء والمرافقين. ولو اشتكى حاكم شيراز من حاكم بندر عباس العربي فعلى الإمام أن يبعده فوراً ويعين حاكماً آخر بدله يكون بنفس الطريقة خاضعاً لحاكم شيراز . كما يتم تضمين بندر عباس والجزر المجاورة لها والأماكن الأخرى المذكورة بالالتزام إلى سلطان مسقط ومن يرثه فقط. وفي حالة عدم وجود وريث فإن هذه الأراضي يجب أن تعود إلى رئيس الوزراء الفارسي. وبينما تبقى هذه الأراضي المذكورة بيد موظفي سلطان مسقط فعليه ألا يسمح لوكلاء أية حكومات أجنبية بالمرور من هذه الأماكن وعليه مرافقتهم بسفن حربية وإلا فإن ذلك يعد خيانه سرية وغزواً أجنبياً علنياً. وليس لسلطان مسقط حق نقل بندر عباس أو أي من الأراضي المذكورة لأية دولة أجنبية حتى وإن كان ذلك تحت الشروط المتفق عليها.

٦٠٠٠ إلى ١٦٠٠٠ تومان ، وتعتبر جزيرة هرمز وقشم اللتين كانتا تابعتين لعمان منذ انتزعهما سلطان من قبيلة المعين حوالي ١٧٩٨م (انظر ص ٢٢٦) أرض فارسية، ويلغي الخندق الدفاعي لبندر عباس ويعتبر والي السيد هناك فعلياً تابعاً فارسياً وهو قابل للإبعاد حسب هوى حاكم شيراز وهو ملزم بتأمين أي حملة قد يطلبها حكام فارس أو كرمان لغرض إرسالها إلى كوش أو مكران أو بلوشستان مع تجهيزات القيادة والحماية، وفي حالة الحرب فإن القوات البرية والبحرية لعمان يجب أن تدافع عن ساحل فارس من أي عدوان أجنبي، وأن الإيجار الجديد للإلتزام يحدد بعشرين سنة قابلة للتجديد بعد تلك المدة حسب رغبة حكومة الشاه.

وبحس عميق في ذهن السيد سعيد مضى مرة أخرى إلى زنجبار " غير أن يد القدر قد قادته إلى بحر سيشيل " فمات على ظهر فرقاطته فكتوريا في التاسع عشر من تشرين الأول ١٨٥٦ عن عمر يناهز الخامسة والستين بعد حكم دام اثنان وخمسون عاما، سبعة عشر منها بالاشتراك مع شقيقة الأكبر سالم والبقية لوحده. وقد ترك أربعة عشر ابنا أحياء هم:

١- ثويني	٢- عبد الوهاب	٣- عباس
٤- محمد	٥- غالب	٦- منين
٧- تركي	٨- عبد العزيز	٩- بدران
١٠- ماجد	١١- خليفة	١٢- ناصر
١٣- برغش	١٤- سويد	

وبعد مراسيم الجنازة في زنجبار حيث نقل الجثمان لغرض الدفن يخبرنا مؤلفنا أن السيد " ماجد قد فوض عن أشقائه الذين كانوا على الجزيرة" وأنه" لدى تسنمه السلطة أكد بقاء المسؤولين

والضباط في القوات المسلحة على رتبتهم التي كانوا يحملونها في حياة والده ، وعلاوة على ذلك اعترف به الناس وكانوا مقتنعين بترتيباته".
أما خطوة ماجد التالية فكانت إرسال مبعوث خاص مع رسائل إلى أشقائه ثويني ومحمد وتركي يخبرهم بنبأ وفاة السيد.

وقيل لحامل هذه الرسائل أن يحملها إلى مسقط ثم يعود فوراً. وعندما وصلت الرسائل إلى ثويني أبقى ما كان معنوناً إلى محمد وتركي كما وأبقى موت والده سراً لبعض الوقت مستفيداً من هذه الفترة لكي يبعث بتعليمات خاصة إلى القيادة في الحصون المختلفة ليكونوا على درجة من الاستعداد تحسبا للمفاجأة. وباتخاذ هذه الاحتياطات فإن كلاً من ماجد وثويني كانا يعملان لمصالحهما الخاصة: فالأول كي يدفع أي تدخل عن مسقط والآخر كي يؤمن نفسه ضد المحاولات التي قد تتم ضده من قبل أدعياء اخرين خصوصا شقيقه تركي الذي ينافسه على السيادة. وحينما أعلن وفاة السيد سعيد في مسقط" سبب الكثير من الانتحاب في المدينة بحيث أن التلال قد اهتزت له" .

هنا يجب أن نستأذن مؤرخنا الذي تنتهي روايته بسرد للأحداث السابقة، لكن بما أننا اتبعناه حتى فترة متأخرة من تاريخ عمان- وهي فترة أعقبها تغيرات كثيرة في حكم البلاد عقب صراعات بين أدعياء السيادة المتنافسين- فإنه من المناسب إلحاق تقرير مختصر عن الأحداث التالية مستمدة من مصادر موثوقة ورسمية بشكل رئيسي.

لقد أشير إلى أنه طبقا لطريقة الحكم التي سادت بين أباضية عمان فإن كل فرد من المجتمع يعتبر مؤهلاً للإمامه وأن الخلافة تتقرر بالانتخاب العام للقبائل.

وفي نفس الوقت يتعين أن يكون المرشحون من أحفاد العائلة الحاكمة. أي في حالة أحمد بن سعيد وهو أول إمام في الأسرة الحالية كان هناك عودة إلى النظام القديم. وأنه من بعده استمر الأخذ بالاستخدام المحدود جداً وانتخب ابنه الثاني سعيد إماما.

وخلال إمامة سعيد عين ابنه الصغير حمد عاهلا من طرفه بينما احتل العديد من أشقائه مناصب مثل الوالي أو الحاكم على مناطق تبدو عهدت لهم كولاية من قبل والدهم احمد. وخلف حمد في الحكم عمه سلطان وليس عن طريق أي انتخاب رسمي أو عن طريق اتفاق مع شقيقه الإمام الذي كان لا يزال يعيش في عزلة نسبية في العاصمة الداخلية الرستاق إلا أنه بشجاعة استطاع تأمين الدعم الشعبي. أما خليفته الراحل السيد سعيد فقد نصب نفسه عاهلا بالتعاون مع شقيقه الأكبر سالم وبنفس الأسلوب.

إثر دعمه من قبل جماعة قوية في الدولة ولتمكنه سابقا من الاستحواذ على مسقط وعدة مدن محصنة أخرى فإنه وضع نصب عينيه وبشكل لا يصدق كبح أية ادعاءات لخصومه وبإلحاق الهزيمة بهم أصبح هو الوحيد دون منازع.

ولدى وفاة السيد سعيد وإضافة إلى مناصب قيادية ثانوية تبوأها أفراد أخرون من عائلته فإن ثلاثة من أبنائه كانوا يعملون كولاة له على ثلاث مدن ومناطق رئيسية من البلاد وهم ثويني على مسقط وماجد على زنجبار وتركي على صحار وطبقا لما ذكره بلكريف فإن هذه المناطق قد ضمت بشكل انفرادي إلى الأبناء المذكورين عن طريق تقسيم الممتلكات الواسعة للسيد وهو على فراش الموت.(٧٣)-وهذا

٧٣- بالنسبة لثويني، الابن الأكبر ، خصص (السيد سعيد) عُمان من بركاء شرقاً مع الجبل الأخضر والمناطق المحاذية إضافة إلى المناطق التابعة لها،

البيان يعد غير واضح إذ من الناحية الأول حتى لو تم توريث هذه التركة إلى السيادة الإقليمية من قبل الموصي بها فإنها تعد ملغية تماماً إذ لا يوجد مثال واحد من الحوليات السابقة للبلاد عن أن الإمام أو السيد يتخلى عن أراضي عن طريق الوصية. ولكن عن طريق الانتخاب، لكن السيد سعيد في الواقع لم يقم بمثل هذه الترتيبات لحكم مقاطعاته بعد موته. فوصيته المؤرخة في السادس والعشرين من رمضان عام ١٢٦٦ الموافق للسادس من آب ١٨٥٠ قد فحصت عقب ذلك من قبل لجنة مسقط- زنجبار ووجدت مكونة كلياً من هبات هي ما اعتبره ملكه الشخصي دون إشارة إلى الخلافة أو الحكم المستقبلي للبلد. وتحت هذه الظروف فإن من الطبيعي أن نتوقع أن موت السيد سعيد يعد اشارة لمنافسة حادة من أجل المنصب الشاغر .

فثويني الذي بحوزته مسقط ادعى بالخلافة وباتفاق غالبية الشعب العماني بينما حظي ماجد باعتراف الزنجباريين ورؤساء الممتلكات الأفريقية إلا أنه في البداية حاول التوصل إلى تسوية ودية مع شقيقه ثويني حيث تعهد بدفع ٤٠٠٠٠ كراون سنوياً إليه سواء كأتاوة أو كمساعدة لا تنطوي على خضوع لمسقط سوى أن هذا الأمر قد تم التنازل عنه فيما بعد.

ان تركي الذي احتفظ بصحار قد أظهر إشارات بافتراض الاستقلال. أما ماجد الذي رفض عقب ذلك أن يدفع المبلغ السنوي إلى ثويني يعد العدة لتأكيد ادعاءاته باللجوء إلى السلاح وجهز قوة

في الخليج . أما ماجد ، الثاني من ناحية العمر (الرابع لأن محمد هو الثاني وتركي هو الثالث) فقد حصل على الممتلكات الأفريقية. بينما الأصغر ، تركي فقد كانت حصته الأراضي الغربية من عُمان من بركاء حتى قطر وعاصمته صحار . وسط وشرق الجزيرة العربية، ج٢/ ص٢٧٧.

ضاغطة في بداية عام ١٨٦٠ حيث توجه قسم منها نحو زنجبار وعندها وجدت الحكومة البريطانية ضرورة التدخل.

وأخيراً اتفق الطرفان على تقديم ادعاءاتها للتحكيم إلى نائب الملك والحاكم العام للهند وهو الراحل اللورد كننغ ، وعندها تم تعيين لجنة برئاسة العميد الذي هو السير وليام كوكلان للتحقيق في مقتضيات الأمر." وأوضحت نتيجة التحقيقات أن الخلافة في عائلة الإمام كانت تعتمد على الانتخابات وأنه بوفاة السيد سعيد تم انتخاب ابنه ماجد من قبل شعب زنجبار والمناطق الأفريقية التابعة لها كحاكم لهم كما أن الظروف المتغيرة لتلك المناطق التابعة خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر قد خولتهم حق هذا الامتياز وأن لهم ما يبرر مقاومة أية محاولة قد يقوم بها السيد ثويني حاكم الدولة الأم لأكراههم على الخضوع.

وعلى هذه الأسس توصلت اللجنة إلى استنتاج بأن ادعاء السيد ماجد بالسيادة على زنجبار والمناطق التابعة لها هو أقوى من أي ادعاء يمكن الإدلاء به لصالح السيد ثويني. واعتبرت الحكومة التي وافقت على هذا الاستنتاج أن السيد ثويني مستعد لتأكيد ادعائه بقوة السلاح وأنه تخلى عن هدفه إكراما للحكومة البريطانية التي قدمت له ادعاء بالتوفيق بدلاً التنافس على لقب هو بالأساس مستمد من القوة.

وبالبحث عن أساس للتوفيق فقد وجه الانتباه بطبيعة الحال إلى الشروط والتي كان السيد ثويني قد وافق التخلي بموجبها عن ادعاءاته بممتلكات والده الأفريقية على أساس مبلغ تعويض يقدر بـ ٤٠٠٠٠ كراون سنويا تدفعه زنجبار إلى مسقط. وبعد طرح المسائل المختلفة أمام حكومة الهند أعلن نائب الملك البنود التالية لقراره:

١- يعلن سمو السيد ماجد حاكما على زنجبار والمناطق الأفريقية التابعة لسمو الراحل السيد سعيد.

٢- أن يدفع حاكم زنجبار سنويا إلى حاكم مسقط مبلغ ٤٠٠٠٠ كراون.(٧٤).[٧٤]

٣- أن يدفع سمو السيد ماجد إلى سمو السيد ثويني مبالغ متأخرة لمدة سنتين أو ثمانين ألف كراون "وإن هذا المبلغ السنوي يجب أن لايفهم على أنه اعتراف باعتماد زنجبار على مسقط ولا يعتبر أمراً شخصياً بل يجب أن يمتد إلى من يخلفه في الحكم ويعد ترتيباً دائماً ونهائياً يعوض حاكم مسقط عن تخليه كل ادعاءاته لزنجبار وتكييف وتسوية عدم المساواة بين الإرثين".(٧٥)[٧٥]

لقد قبلت شروط تحكيم نائب الملك بشكل ودي عام ١٨٦٢ من قبل السيدين المتنافسين ومن قبل الرؤساء والقبائل المعنية. وقد كان الحل الوسط ذو فائدة دون شك لكلا الطرفين واعتبر معززاً لقوتهما. إن فصل زنجبار عن عمان ووقوفهما كبلد مستقل قد أعفاها وعلى حساب خمس عائداتها التخمينية من المشاركة الإجبارية في النزعات الموروثة للدولة الأم وتركها حرة في تطوير مواردها الصناعية والتجارية لصالح رعاياها. كما أن حاكم عمان قد حصل من ناحية أخرى على تعويض مقابل التخلي عن ادعاءاته بزنجبار وأعفي في الوقت نفسه من الاهتمام بإقليم بعيد والذي كان عاجزاً عن حكمه دون

٧٤- ولا بد من الأخذ بنظر الاعتبار عند تحديد المبلغ السنوي وهو أن عمان الدولة الأم قد أثقلت بأتاوة سنوية مقدارها ٢٠٠٠٠ كراون تدفعها إلى الوهابيين يتم أخذ نصفها من خزانة زنجبار.

٧٥- الخلاصة بشأن مسقط وعلاقتها بالدولة الوهابية ، ص ١٤،١٥ . أن العائد السنوي لمسقط يقدر بـ ١٢٩٥٠٠ كراون ، وزنجبار ٢٠٦٠٠٠ كراون.

إهمال المصالح العامة لمناطقه العربية. فليس هناك من شك بأن الغياب المتكرر للراحل السيد سعيد في زنجبار قد ألهبت إن لم تكن قد مهدت للعديد من المشاكل التي طالت عمان خلال فترة حكمه وأضعفت سلطته في ذلك الجزء من مقاطعاته بشكل كبير.

لقد كان السيد تركي حاكم صحار الشخص الوحيد المستاء من التحكيم واعتمد على إسناد ماجد الذي كان وكلاؤه قد حرضوه سابقاً للتقليل من شأن سلطة ثويني فأخذ يحاول الآن تكوين أئتلاف ضده.

وقد أذعن في النهاية إلى الضغط الودي الذي مارسته عليه حكومة الهند، غير أن العصيان الذي أثارته محاولاته قد تحول إلى تمرد جدي بين قبائل الباطنة. وإزاء هذه الأحداث ذكر أن السيد ثويني قد زار الأمير الوهابي طلبا للمساعدة ولم يفوت فيصل الفرصة لإرسال قوة إلى الشارقة تحت قيادة ابنه عبدالله.

ويبدو على أية حال أن الوهابيين كانوا أكثر ميلاً للنهب من إخضاع المتمردين لطاعة حليفهم وقد بعث ثويني الذي أثاره خطر الموقف بأسطول كبير وجيش عظيم إلى المناطق المتعرضة إلى القلاقل، وفي هذه المناسبة يقال أن تسوية معينة قد تمت بين الضابط الوهابي عبدالله بن فيصل والسيد ثويني ولم يرد بشأنها أية معلومات في سجلات الحكومة ولكن يصفه بلكريف كما يلي:"لقد وعد العاهل العماني من جانبه أن يقدم هدية سنوية إلى الرياض كمساهمة منه إلى شريف مكه وان يسمح بإقامة حامية دائمة في البريمي وذلك لأجل كبح المناصير وآل مرة الذين أظهروا غطرسة في الأيام القلائل الأخيرة – وهذه الحامية تستلم رواتباً وتكون تحت الأوامر المباشرة لثويني .

وأخيراً وافق الأمير بالسماح لعدد معين من النجديين (حوالي ثلاثمائة كما أعتقد) في أن يكونوا في خدمته الخاصة وحرسه الشخصي. وتمت المصادقة على الاتفاقية على هذه البنود من قبل كل طرف وأخيراً أجلى عبدالله قواته عن هذه الأراضي وتركوا خلفهم ديناً متراكماً من الكراهية والانتقام لا يتسنى لأجيال من دفعه.(٧٦)[٧٦]

لقد دخل البلد الآن في موسم من الهدوء استمر حتى نهاية عام ١٨٥٤ عندما كشف عزان بن قيس والي الرستاق عن روح معادية نحو السيد ثويني الحاكم الشرعي واقترح نقل ولائه إلى أمير الوهابيين وفق بعض الشروط من الأتاوه المالية.(يعد عزان أحد أحفاد الإمام أحمد وهو ابن قيس حاكم صحار الذي سلم عام ١٨٥١ تلك القلعة إلى السيد سعيد وعين من قبله والياً على الرستاق (انظر ص ٣٥٧ وكذلك الملحق) .

إن الاستقبال الإيجابي لهذه الاتصالات من قبل الزعيم الوهابي والتي صاحبها طلب من الطرف الأخير لزيادة الأتاوة السنوية من عمان قد أثار سخط وغضب السيد ثويني. وقد تفاقمت هذه الأمور مباشرة بعد هجوم قام به الوهابيون على صور بالتعاون مع بعض القبائل الساخطة في جعلان تحت قيادة عبد العزيز ، وهو قائد وهابي، حينما نجحوا في حمل كل ثروة هذا المكان الذي يعود جزء كبير منها إلى رعايا هنود بريطانيا وقدروا خسائرهم بـ ٢٧٠٠٠ دولار. وقد قتل أحد جنودهم علاوة على ذلك من خلال الهجوم. وبعد أن فشلت المحاولات الودية للحكومة البريطانية في التوصل إلى تعويض مُرضي لما أصاب رعاياهم من اعتداءات أو التوصل لمعالجة الخلافات القائمة بين أميرهم والسيد ثويني فقد حثت السلطات الهندية الأخير على

٧٦- وسط وشرق الجزيرة ، ج٢ ، ص٢٨٤.

الضرورة الملحة لردع اعتداءات الوهابيين ودعت في نفس الوقت بالموافقة على طلبه بتجهيزات المدفعية والذخيرة. وفي الوقت عينه طلب من المقيم السياسي في الخليج استخدام نفوذه في إعطاء التأكيدات الى الرؤساء في ساحل القراصنة بأن الحكومة البريطانية لن تعارض تقديمهم المساعدة للسيد ثويني براً.

وبينما كان الأخير مشغولاً في جمع وتجهيز القبائل للتقدم بها إلى البريمي فإن الوهابيين كانوا غير مبالين بالاستعدادات شبه الحربية التي دفعت إلى الأمام ضدهم فقد حركوا كتيبة إلى صحم وهو مكان ليس ببعيد عن صحار وطردوا البانيان المقيمين فيها إلى البحر حيث غرق أحدهم.

ومن خلال محاولتهم للحصول على تعويض عن هذه الأعمال وغيرها تم توجيه رسالة إلى الأمير الوهابي في السادس من كانون الثاني١٨٦٦ يخبروه فيها أنه" بعد انتهاء سبعة عشر يوماً وفي حالة عدم تقديم التعويض اللازم فإن السفن الحربية البريطانية سوف تدمر الحصون على ساحل البحر وتصادر سفن السمبوك الراسية هناك". ولما لم يُعر أي اهتمام لذلك فقد مضى الكابتن باسلي قائد السفينة هاي فلاير في الثاني من شباط إلى القطيف ودمر زورقين حربيين وحصناً صغيراً يسيطر على قناة الزوارق في ذلك الميناء.

وفي اليوم التالي هاجم حصن مجاور ونجح في إحداث مدخل إلى البرج ولكنه وجد الحامية أقوى مما تصور فاضطر إلى التراجع وتحمل الخسائر وهي ثلاثة قتلى وجرح ضابطين ورجلين. وفي الحادي عشر من نفس الشهر ظهر إمام صور جنوب مسقط وأعطى تحذيراً لغير المحاربين لمغادرة الأماكن القريبة من الحصون فبعث زوارق السفينة هاي فلاير في صباح اليوم التالي إلى الخور المؤدي

إلى السفينة وقامت هذه الزوارق إما بمصادرة أو تدمير كل الزوارق في الميناء والعائدة إلى الجنبه وهي القبيلة المعتدية بالإضافة إلى حرق كمية كبيرة من خشب السفن. وقبل اللجوء إلى إجراءات أخرى رغبت الحكومة البريطانية أن تؤكد هذا للوهابيين وحلفائهم ثم معرفة مدى تقدم السيد ثويني في خطته للهجوم على البريمي. وفي أثناء ذلك فإن الخبر المذهل لموت السيد وخلافة ابنه الأكبر سالم قد وصل إلى العقيد بيلي المقيم السياسي في الخليج العربي في رأس مسندم. إن المقيم الذي كان لدية سبب في الشك باللعبة القذرة مضى نحو صحار حيث نجح في تحرير السيد تركي الذي كان قد سجن سابقاً في تلك القلعة بأوامر من سالم وانتزع منهم ومن الآخرين رواية تفصيلية عن ظروف سجنه واغتيال السيد ثويني أثناء نومه في الحصن من قبل ابنه سالم في الحادي عشر من شباط يساعده في ذلك بعض الشركاء أحدهم كان وهابياً. وإزاء ذلك كان سالم قد سرح القبائل المتوجهة ضد البريمي وترك في صحار بعهدة سيف بن سليمان ومضى مسرعاً إلى مسقط.

بعد وصول العقيد إلى مسقط وجد الرعايا البريطانيين المقيمين هناك في حالة من الرعب وأوصاهم بالحذر حتى وصول تعليمات أخرى، إما أن يلجأوا إلى ظهر السفينة بيرينس الواقفة انذاك في الميناء أو ينزلوا إلى زوارقهم.

وفي اليوم التالي بعث السيد سالم واحداً من أقرب المقربين إليه مع رسالة إلى المقيم كرر فيها تأكيداته السابقة بشأن موت والده ، أي أنه مات من الحمى بعد مرض دام ثلاثة أيام وعرض أن يلبي رغبات المقيم في كل مجال. إلا أن العقيد بيلي أحجم عن الرد على هذه الرسالة أو أن يعترف بالسيد سالم بأية طريقة. في أثناء ذلك

تعززت قوة السيد سالم بوصول (عالم دين) من السويق ووصول عزان بن قيس من الرستاق ثم التحالف مع الوهابيين، وجاء كلاهما بأتباع كثر لمساعدته.

ومنذ ذلك الحين بعث السيد سالم اثنان من مبعوثيه إلى بومباي مع رسالة يطلب فيها تجديد العلاقات الموجودة بين حكومة مسقط والحكومة البريطانية، إذ لم يكن من المحتمل أنه قد تصور أن يلحق أي أذى على الأقل برعايانا المقيمين في عمان. ومع ذلك وحيث لم يكن بالإمكان الأعتماد على مزاج المستشارين المتعصبين فقد اتخذت الإجراءات فوراً لحماية المصالح البريطانية على الساحل حيثما تعرضت إلى الخطر.

وفي شهر نيسان من نفس السنة ١٨٦٦ أرسل مبعوث إلى بوشهر من قبل الأمير الوهابي عبدالله – الذي كان قد نجح لتوه في تسنم المنصب الحاكم على نجد نتيجة موت والده فيصل- والمفوض بصورة مطلقة بطلب المساعي الحميدة للمقيم في إقامة علاقات ودية بين الأمير والحكومة البريطانية، ثم التأكيد له أن الأمير لن يعارض أو ينزل ضرراً بالرعايا البريطانيين المقيمين في أراضيه، ثم أنه لن يهاجم القبائل العربية المتحالفة مع البريطانيين خصوصاً قبائل عمان بينما تدفع الزكاة من هذه البلاد بشكل منتظم في وقتها.

إن هذه المبادرات قد تم مقابلتها بروح مماثلة من قبل السلطات الهندية ورغم أنهم احجموا عن ضمان دفع غرامة مالية إلى مسقط ولكنهم وافقوا على أنه بطلب من الأمير قد يتوسط المقيم بين كلا الطرفين في حالة ظهور أية مشاكل.

وفي ذلك الوقت اعترفت حكومة الهند إما صراحة أو فعلا بالسيد سالم كحاكم لعمان خليفة لوالده. إن القرار بهذا الصدد لم يتم التوصل إليه إلا بعد دراسة دقيقة.

إذ أن المسألة لم تبرز بشكل غير طبيعي فيما إذا كان بوسعنا وتماشياً مع مبادئنا أو يجب علينا أن نعترف بقاتل أبيه. وناهيك عن حقيقة أن التهمة ضد سالم لم تثبت وأنه أصر على تأكيد براءته فإن الحكومة البريطانية يبدو قد توصلت إلى استنتاج حكيم هو أن التهمة ضد المتهم وفي حالة المصلحة المحلية البحته هي خارج حدود قضائهم وأنه في حالة أن العمانيين لا يترددون بالاعتراف به كعاهل لهم فإننا كدولة أجنبية لا يتسنى لنا بأي حال أن نرفضه.

وأن حادثة سالم مهما تبدو لنا فإن التاريخ يسجل عدة أعمال مشابهة قام بها حكام عمان دون أي احتجاج من قبل رعاياهم ودون أن يضعف ذلك شعبيتهم وهكذا ففي (ص ١٠١-١٠٢) نقرأ عن كيف أن الإمام مهنا قد اغتيل غيلة في السجن من قبل ابن عمه يعرب حيث خلفه في الحكم ثم أعفاه القاضي مسبقاً " من تهمة العصيان ومن دفع أية تعويضات عن الأخطاء التي كان قد ارتكبها". وكان سلطان بن أحمد قد احتفظ بالحكم عن طريق سلسلة من الخدع الكبيرة (ص٢١٤)، كما قام السيد سعيد الذايع الصيت وهو جد سالم باغتيال ابن عمه بدر الذي عهدت إليه الحكومة والذي من خلال نفوذه كان سعيد قد أقام سلطته (ص٢٩٠-٢٩١)، ثم مؤخرا في عام ١٨٤٤-١٨٤٥ حرض السيد حمود بن عزان حاكم صحار مجموعة من القتلة لاغتيال ابنه أثناء نومه في فراشه (ص٣٦٢) إن اعمال عنف مماثلة خصوصاً عندما ترتبط بمؤامرات لها علاقة بالأسرة ينظر إليها المستشرقون في ضوء الجرائم السياسية التي يمكن التغاضي عنها في

حالة نجاحها أما فيما يخص عمان فإن حولياتها تقدم لنا أمثلة كثيرة عن كثيرين نجحوا في الوصول إلى السلطة العليا وفي بعض الحالات القليلة كان العهد التالي من الحكم مزدهراً. إن السخط الذي قيل أن العمانيين قد عبروا عنه نتيجة حادثة سالم قد تحدد وانحصر فقط مع منافسيه وربما اعتبر لمدى معين كمناورة سياسية لإلغاء مصداقيته لدى الحكومة البريطانية.

أما بالنسبة للعداء المستحكم الذي تلا ذلك فإنه قد حدث كما كان متوقعاً له أن يحدث بغض النظر عن ذنب أو براءة سالم. لأن الحوليات التالية لعمان لم تنجح في أن تسجل مثالاً واحداً عن تسنم الحكم دون قلاقل تصاحبه.

إن اعترافنا بالسيد سالم لم يمنع عمه السيد تركي من مواصلة مخططاته لإزاحته عن العرش. فتحول إلى الرؤساء على ساحل القراصنة الذين ربما كانوا يتعاونون معه لولا تدخل المقيم في الخليج الذي حذرهم من تشجيع هذا المدعي.

فذهب تركي عندئذ إلى ينقل وكسب تعاطف رئيس هذه القبيلة وفاجأ صحار بكتيبة صغيرة إلا أنه أجبر بعد فترة قصيرة على التراجع. ثم مضى إلى جعلان حيث انضم إليه بني بو حسن والحجريين والحرث وآل وهيبة الذين وصلوا مباشرة إلى مسقط . أما السيد سالم الذي أدرك الهجوم الوشيك فقد جمع على وجه السرعة حوالي ألفين وخمسمائة رجل من الباطنة لكن من خلال سوء الإدارة من طرفه قرر ثمانمائة من الرجال العودة إلى بلدهم وخمسمائة من الباقين هربوا لدى سماعهم بتقدم تركي .

ومن طرف الحرث فقد بعثوا ستة من رؤسائهم للتفاوض من أجل السلام مع سالم بشرط أن يتخلى لتركي عن إمارة صحار.فرفض

سالم هذا الطلب إلا أنه قدم حلا وسط بالسماح بتخصيص راتب شهري لتركي هو مائتي دولار ودار سكن في مسقط ويبدو أن المبعوثين من خلال الاحتيال قد أثروا الاقتناع بهذا المقترح ولكن بسبب إشاعة كاذبة انتشرت في الخارج تفيد أن السيد سالم قد نقل إلى بومباي في بارجة بريطانية وأن هناك سبب للاقتناع بأن كل اتباع تركي قد تركوه فإن عدداً كبيراً من المجندين انضموا إلى تركي وساروا معه إلى بدبد حوالي ثلاثين ميلا من مسقط حيث وصلوا في اليوم السابع والعشرين من آب. وبدأ سالم حينئذ يعد العدة للدفاع غير أن الرعب كان كبيراً في المدينة بحيث أن عدداً كبيراً من العرب الأغنياء قد انتقلوا مع عائلاتهم وأمتعتهم إلى ظهر السفن في الميناء. وفي هذه الحادثة استلمت الأوامر من حكومة الهند تفيد أن السيد تركي لابد أن يهدد بالقصف وعدم الاعتراف به في حالة إصراره على مخططاته. إن هذا التهديد قد نقل إلى تركي وكان على وشك مهاجمة مطرح دفعه إلى أن يبعث مبعوثاً آخر إلى سالم يطالبة بمنطقة صحار أما سالم الذي يبدو أن لديه هاجساً بالقلق والخوف فلم ينصت للمقترح ولم يقدم أية شروط من قبله.

فقرر تركي من الناحية الأخرى ولدى سماعه بهذه الفوضى التي تعم مسقط أن يطرح شروطاً أقسى فطالب الآن بكل البلاد باستثناء مسقط ومطرح. إن فتور الهمة والتردد لدى سالم قد جعل منافسه يجرؤ على مهاجمة المنطقة الأخيرة والتي نجح في الاستيلاء عليها حيث انضم عرب الحامية إلى جانبه وتراجعت جيوش المخلصين إلى مسقط.

إن تأخر تركي لأربعة أيام والذي كان اتباعه البدو ينوون نهب مطرح قد أعطى سالم وقتاً لجمع التعزيزات حينما ظهر العدو أمام

جدران المدينة فإنه واجه مقاومة غير متوقعة وفي السادس من أيلول عاد إلى مطرح مع خمسمائة من اتباعه وحينها كان بالامكان طردهم بسهولة لو كان لدى سالم الشجاعة للقيام بذلك. وبعد ثلاثة أيام وصل العقيد بيلي إلى مطرح ودعا تركي إلى مؤتمر يحضره إما شخصياً أو من ينوب عنه.

إن الأعذار التي قدمها لم تكن مقنعة فتم قطر فرقاطة صاحبة الجلالة، (أوكتافيا) عن طريق زورق بخاري صغير هو ماي فرير ولكن قبل أن ترسو الزوارق ظهر مبعوث من السيد تركي على ظهر الزورق البخاري وقد خول أن يوضح أن سيده يشجب كل طلب وأنه مقتنع شخصيا بتقاعد يساوي العائدات المشتركة لمطرح وصحار فأبرمت اتفاقية تم التحديد بموجبها أن يستلم تركي من السيد سالم أتاوة سنوية هي سبعة آلاف ومائتي دولار ويقيم مستقبلا ضمن أراضي الهند البريطانية تحت إشراف الحكومة. وهكذا سلمت مطرح إلى سالم وسافر عمه تركي إلى بومباي في الحادي عشر من أيلول عام ١٨٦٧.

على أية حال لم يمض وقت طويل على تخلص السيد من هذا الخطر حتى تورط في خطر آخر نابع من نفس المصدر الخصب- وهو غياب أي نظام معترف به للخلافة على حكم عمان. فقريبه السيد حمد ابن سالم(٧٧) الذي يحكم ولاية المصنعة(٧٨) التي أعطيت له من قبل ابن عمه الراحل السيد سعيد، الذي شك بكونه شريكاً في الخطط مع ابن عمه تركي تقدم بنفسه ورفع مستوى العصيان ضمن منطقته. أما الرأي الآخر فيتهم سالم بأنه معتد في هذا الوضع مما أثار العديد من القبائل ضده.

٧٧- حمد بن سالم هو ابن عم ثويني ، والد السيد سالم.

٧٨- حول موقع هذا المكان انظر الهامش ص ١١٢.

لكن مع ذلك فإن سالم الذي أبلغ رسمياً بأن لا يتوقع أي مساعدة فعالة من البريطانيين قد بعث بسرية إلى بركاء(٧٩). ومن هناك سار شخصياً في السابع من شباط عام ١٨٦٨م مع قوة محترمة ثم انضمت إليه بعد فترة قصيرة قوة طوارئ تحت قيادة تركي السديري، الضابط الوهابي في البريمي .

كما بعث وزيره حاجي أحمد إلى جعلان كي يجند الهناوية في المنطقة لصالحه ووعدهم بمكافأة مجزية لتحالفهم . إلا أن تردده في المضي ضد منافسه أو التصالح معه قد شجع القبائل المجاورة على اتخاذ موقف تهديدي بينما وقع هو تحت ضغط كبير لتدبير الأموال لتجهيز قواته بحيث أن العقيد بيلي قدم له عشرة آلاف دولار إضافة إلى مبلغ مماثل كان قد قدم له سابقاً. أن هذه المبالغ كانت جزء من أربعين ألف دولار وضعت تحت تصرف سالم من قبل حكومة الهند لقمع عصيان تركي وكان يتعين أن تدفع من أتاوة زنجبار إلى مسقط.

إن كل هذه الأستعدادات المعادية انتهت على أية حال بمصالحة بين الطرفين المتنافسين وقد عاد السيد سالم إلى بركاء. إن سياق

٧٩- بركاء أو بركة هي في خرائطنا ولوائحنا. وهي تقع "١٢-١٣" ميل غ× ش مسقط ومحصنه ببناء دفاعي أقيم أساساً من قبل البرتغاليين لكن ليس فيها خندق ولذا لا يمكنها أن تصمد أكثر من ست ساعات أمام المدفعية ، وهي تفيد في إلحاق الرعب بالمدن المجاورة والتي تتمتع بتقدير عالي لقوتها . فهي تتحكم بكل الباطنة وبما أن المدينة تقع ضمن سفرة يوم واحد من الداخلية إلى الظاهرة فهي بالضرورة تصبح مركزاً تجارياً كبيراً ومركز اتصالات مع تلك الأنحاء وفي بساتينها تجد الكروم بأنواعها لمدة خمسة أشهر والتمور الطازجة لمدة ستة أشهر من السنة. وفي بساتينها تجد المانجا والمشمش والخوخ والبطيخ وغيرها من الفواكه التي يمكن شراؤها فيها على طول السنة " منتخبات حكومة بومباي ، رقم ٢٤، ص١٠-١١

هذه الأحداث توضح مكر القبائل العربية. فرؤساء الهناوية كانوا مستائين من الهدايا المقدمة لهم وأصروا على أن تلاحمهم مع السيد تضمن عفواً مطلقاً عن حمد بن سالم الذي كان يقدم الأموال لرؤساء آخرين من جعلان يأتون لمساعدتهم.

واستجاب عدد كبير للدعوة وشقوا طريقهم عبر الممرات قرب سمائل ومن هناك بعثوا رسالة تأكيد إلى سموه موضحين فيها عن نيتهم بالمصادقة على اتفاقهم معه في بركاء وفي الطريق إلى هناك التقوا بحمد بن سالم الذي أعطاهم خمسمائة دولار لنبذ تحالفهم مع سالم حيث دافعوا عن ذلك ثم هددوا بمهاجمة مسقط وبعد أن ندموا عقب قبضهم الأموال قاموا بعروض جديدة لدى سالم الذي وعدهم من ناحيته بمكافأة مقدارها عشرة آلاف دينار على أن يدفع ألفان منها حالا بينما يدفع المتبقي في فترة لاحقة. وخلال أيام قلائل طلبوا زيادة الفرق من المكافأة وبعد أن رفض طلبهم نهبوا بعض رجال القيادة الوهابية ثم لجؤوا إلى المصنعة.

ولسبب آخر انتشر الرعب بينهم في احتفالات العيد وانقسموا إلى مجموعات وفي رحلتهم إلى بلدهم هوجموا من قبل الغافرية وخسروا بعضا من أفرادهم. إن هذه الحادثة قد قللت كثيرا من الهناوية في تقييم منافسيهم في عمان.

وأعقب ذلك عدة أشهر من الهدوء إلا أنه في أيلول من نفس السنة أي في عام ١٨٦٨ ظهر عزان بن قيس حاكم الرستاق (انظر ص ١٠٢-١٠٣) مرة أخرى كمنافس على الحكم واستولى على بركاء. لقد كانت خطته منظمة جداً ففي الثالث من الشهر التالي احتل مسقط ولم يترك للسيد سالم فرصة للهرب إلى إحدى الحصون على الميناء. وفي خروجه المفاجئ ترك نفائسه وراءه وهي تقارب بـ٢٠٠٠٠٠ جنيه

إسترليني مع العديد من المقتنيات التي إما نهبت جميعها أو دمرت من قبل الغزاة. لقد تم اللجوء إلى العقيد بيلي، المقيم السياسي في الخليج العربي والذي كان في الميناء في ذلك الوقت الذي التمس التعاون الفعال للحكومة البريطانية في هذا الشأن على أساس أن الاعتداءات الحالية هي مجرد مقدمة لعصيان السيد تركي والذي كانت حكومة الهند قد ساعدته.

وإلى حين مراجعة السلطة العليا أوصى العقيد بيلي بهدنة غير أن عزان أعلن أن اتباعه جاؤوا للحرب وليس للتفاوض وطبقاً لذلك فتح النار على الحصن مما عرض الملاحة البريطانية للخطر والتي بعد فترة أخليت إلى خارج مدى النيران.

وإضافة إلى اشعار عزان أنه سيعتبر مسؤولا عن أي ضرر يلحق بالرعايا البريطانيين المقيمين سواء كأشخاص أو كممتلكات فقد طلب العقيد بيلي عدم القيام بأية محاولة في الوقت الحاضر لنقل مدفعين من عيار ٤-١٨ باوند الطويلة والتي قدمت لوالد السيد سالم ليستخدمها ضد عزان والتي كانت تقبع تحت الحصن انذاك.

ورغم هذا الاعتراض فإن أحد هذه المدافع قد نقل أثناء الليل في اليوم الخامس ووضع في موقعه في اليوم التالي ثم أطلق على الحصن. ولمنع الاستيلاء على بقية المدافع وضع النقيب براون من زوارق صاحب الجلالة فيجلانت بطاري مدافع في الحصن غير أن طلب السيد سالم باستخدام المدافع لطرد السيد عزان من القصر حيث يقيم قد رفض. في صباح اليوم السابع استلمت برقية من الحكومة تحرم استخدام القوة لصالح سالم وعبرت عن تفضيلها للسيد تركي في حالة انتخابه من قبل الناس .

لقد كانت هذه المعلومة ضربة مميتة لآمال سالم. ومع ذلك فقد ذكر في اليوم التالي أنه لا يزال هناك بعض الأمل في إجراء تسوية مع منافسه وفي صباح اليوم التالي وبينما كان على ظهر السفينة فيجلاند حيث نقل بطلب منه في أحد زوارق السفينة رفعت الأعلام في الحصون وأطلقت التحية لتسنم السيد عزان بن قيس الحكم. وفي اليوم الحادي عشر صعد السيد سالم إلى السفينة (امير ويلز) وأبحر إلى بندر عباس.

بين تشرين عام ١٨٦٨ وآذار ١٨٦٩ قام سالم الذي جمع قوة كبيرة في جزيرة قشم وبندر عباس بعدة محاولات لاستعادة ممتلكاته المفقودة إلا أن تحريم حكومة الهند لكل التحركات المسلحة البحرية – مما أثار كلا المتحاربين مع إجحاف خاص بحق العاهل السابق- قد شل مغامرته كثيراً. على أية حال لقد نجح في النزول في دبي على الساحل الشمالي وشكل ائتلافاً مع الضابط الوهابي في البريمي بهدف غزو البلاد. لقد كان عزان في ذلك الوقت مشغولاً في حرب مع الغافرية الذين استفادوا من التعقيدات الحالية للهناوية وخلال حملة قصيرة نجح في محاصرة الجبور والسيابيين وبني رواحة ونزارية سمائل وعاد منتصراً إلى مسقط.

وفي حوالي هذا الوقت تعزز الرأي بأن انتخاب السيد تركي سوف يرحب به من قبل غالبية الناس بالحكومة الهندية وعلى مسؤوليته الخاصة في أن يغادر بومباي متى ما يرى ذلك مناسباً. إن إطلاق سراحه كما سيظهر من سياق الأحداث أضاف عنصراً جديداً للفوضى السائدة في عمان والمناطق التابعة لها. أما فيما يخص هذه المناطق فإن السيد ناصر الشقيق الأصغر للسيد سالم قد جعل نفسه سيداً على جوادر وشهبار على ساحل مكران. إن وفاة الضابط الوهابي

في البريمي مع العديد من أتباعه في مناوشة مع قواسم الشارقة قد أحبط أمل سالم بأية مساعدة في تلك الأنحاء.

على أية حالة بعد أن رأى أن يقوم بمحاولة يائسة أخرى لاسترجاع موقعة المفقود سار إلى الداخل خلال شهر مارس وفي الرابع عشر من آب وصل إلى بركة الموز. لكن حيثما ذهب لاحقته الكارثة :- فكشخص يحتاج إلى الشجاعة ويفتقر إلى أية صفات محسوبة يمكن أن ترفع من حماسة القبائل فقد قوبل باستقبال يؤسف له وكان في خطر محدق للقبض عليه من قبل جماعة عزان فعاد إلى قشم في أيلول دون أدنى فرصة لاستعادة ملكه. من الناحية الأخرى كان الحظ لصالح عزان بن قيس .ففي تموز استولى على حصن البريمي- وهو الحصن الحدودي الحصين للوهابيين وقاعدة عملياتهم ضد القبائل على الساحل الشمالي وأقام علاقات ودية مع بني ياس والقواسم. وفي أيلول كان في الميدان مرة أخرى وقبل نهاية السنة استولى على المدن والقلاع في بهلاء وازكي وأدم ونزوى ثم سار إلى جعلان مع قوة كبيرة مما أرعب قبائل تلك المنطقة التي خضعت له.

وفي كانون الثاني ١٨٧٠ قام الأمير الوهابي عبدالله بن فيصل باستعدادات لاحتلال البريمي حيث شرع عزان بمصاحبة أخيه إبراهيم نحو بركاء وانضم اليهما سعود شقيق الأمير الوهابي الذي كان سعود على خلاف معه.(٨٠)وبعد استدعاء القبائل لنصرته سار عزان إلى

٨٠- يشير بلكريف خلال ست سنوات مضت إلى الانطباع العام بين الوهابيين حيث أن صراعاً قد حدث بين عبدالله وسعود أبناء فيصل لدى موت أبيهم:"كان الشقيقان المتساويان في العمر في حالة حرب مع بعهضم ولم يتحدثا سلمياً مع بعضهما. سعود عاهلاً على اليمامة وجعل السالمية مقر إقامته مما أبعده عن الرياض بينما أقام عبدالله حاكماً خاصاً على المدينة وفي أثناء ذلك فاز سعود بسبب سلوكه التحرري بمحبة رعاياه المباشرين

البريمي وطلب من حليفه شيخ أبو ظبي للتعاون معه. أما عبدالله بن فيصل فقد شكل من ناحية ائتلافاً مع الرؤساء العرب الآخرين في الساحل الشمالي ولكن بسبب القحط الاستثنائي الذي حدث في ربيع تلك السنة جعل التجهيزات شحيحة في البر ووصول إشاعات عن مؤامرات في الرياض لصالح شقيقه جعلته يستبعد الحمله.

إن خبر الحرب الوشيكه بين أمير نجد وعزان قد أقنعت السيد تركي وابن أخيه سالم العاهل السابق بالانضمام إلى الاتحاد الوهابي لكن حينما وجدوا لدى وصولهم أن العمليات الفعالة قد تأجلت عاد سالم إلى قشم .

وبقي تركي هناك لوقت أطول على أمل أن يجمع القبائل الصديقة على الساحل الشمالي لصالحه لكن حين واجه تشجيعاً قليلاً في تلك الأنحاء ذهب من مكان لآخر محاولاً جمع الاتباع . ففي بداية آب بعث مجموعة من الفرس والبلوش من بندر عباس إلى خورفكان زوارق صغيرة استطاعت أن تتخلص من مراقبة طرادتنا وفي خلال نفس الشهر حصل من أخيه ماجد الأموال المقدمة من زنجبار في إحدى سفنه الحربية. لقد تم الترحيب بالمجندين في صور من قبل قبائل جعلان غير أن تركي الذي يئس من جمعهم هناك بسبب المراقبة الشديدة على كل التحركات المسلحة هناك ذهب سراً إلى بندر خورفكان حيث التقى بمبعوث من النعيم الذين شهروا السلاح في وقت سابق ضد عزان بن قيس وتقدمة نحو الداخل في أيلول. وعن طريق الفجيرة تعززت قوته من قبل بني قتب وعدد من قبائل العربية ثم

كافة الذين يعارضون استخدام القسوة في المناطق الأخرى . لذا يعتقد بشكل عام أن موت فيصل يبرهن على أنه إشارة حرب دموية لا نظير لها في نجد" وسط وشرط الجزيرة العربية ، ج٢، ص٧٤.

انضم بنو نعيم في البريمي التي كانت كل حصونها باستثناء الحصن الرئيسي بأيديهم.

إن كلا الطرفين قد استدعيا حلفاؤهما فقد جاء شيخ أبو ظبي لمساعدة عزان بينما تعاون رؤساء عجمان ورأس الخيمة مع تركي. وعقب ذلك عدة مناوشات بين المتحاربين لكن دون نتيجة حاسمة. وفي أثناء ذلك كان عزان وشقيقه إبراهيم مشغولين بمحاصرة قبائل الظاهرة المعادية ونجحا في الاستيلاء على حصون "جبرين"(٨١) والعينين. كما استأنف حصار الحزم (٨٢)- ثم مضى نحو ضنك(٨٣) التي كانت محتلة من قبل نعيم .

وعندما وصل اتباعه من الشرقية والداخلية إلى ينقل طالبوه بتحقيق وعوده التي قطعها لهم بمساندة قضيتهم وحين أخبرهم أنه عاجز عن الإيفاء بمطلبهم تركوه جميعهم مما قلص قوته إلى ٢٠٠٠ رجل.

وبعد أن اعتقد أن هذا الرقم غير كاف وبمساعدة مدفعي ميدان للاستيلاء على ضنك سار إلى هناك في الرابع من تشرين الأول لكن في اليوم التالي تمت محاصرته وإبادة جماعته بقوة يقودها السيد تركي. ولقد تراجع عزان وشقيقه إبراهيم إلى صحار تاركين ورائهم ثلاثمائة إلى أربعمائة من اتباعهم من ضمنهم بعض الشيوخ إما قتلى أو جرحى في الميدان. ولدى انتهاء المعركة تحرك تركي نحو الجنوب الشرقي ووضع مجمل الجيش لديه بإمرة سليمان بن سيف، رئيس بني

٨١- طبعت هكذا في المراسلات الحكومية غير أني لم أسمع بمثل هذا المكان في الظاهرة ربما المراد يبرين. (والصحيح هو جبرين. المترجم).

٨٢- تكتب "عَزْم" في الأوراق الرسميه.

٨٣- يتهجؤها وكلاؤنا السياسيون "زُنك".

ريام الساكنين في الجبل الأخضر بينما مر مع بقية الجيش من خلال إبراء وبديه إلى جعلان بغية تأمين تعاون القبائل في تلك المنطقة. وخلال غيابه حاصرت القوات التي بإمرة سليمان بن سيف نزوى وسدت الممرات خارج سمائل وحصِلت على فوائد أخرى أمام خصومهم وقد انتظروا أوامر تركي للتقدم نحو مسقط.

وفي جعلان ناشد تركي بني بو علي وبني بو حسن وغيرها من القبائل للانضمام إليه ثم سار إلى صور حيث عسكر مع ٤٠٠٠ رجل و ٢٠٠٠ جمل بهدف التقدم إلى مسقط عن طريق الساحل .أما الإمام عزان فبالإضافه إلى تأمين العاصمة البحرية والنقاط المهمة الأخرى على الساحل فقد تصالح كما يقال مع بني نعيم في الشمال وضمن المساعدة الموعود بها لعدد من قبائل الهناوية الذين حينما وجدوا تركي لا يملك مالا ليكافئ به خدماتهم هجروه إلى خصمه.

هكذا كان موقف الأطراف المتنافسة في نهاية عام ١٨٧٠. ومن الصعب التنبؤ من سيسود . فالفرص هي بشكل حاسم لصالح عزان بن قيس لسبب بسيط وهو أنه الحاكم الفعلي ولديه موارد البلاد خصوصا العائدات من الجمارك وهو يمتلك الوسائل التي لا يمتلكها تركي لكي تسانده القبائل. أما فيما يخص شرعية ادعاءاته فلا بد أن نضع في الذهن أن ليس هناك قانونا معترفا به ينظم الخلافة. فمنذ عام ١٧٤١م كان الأمر محصوراً بأفراد آل بو سعيد- الذين لا يزالون يحظون بأصوات غالبية السكان. إلا أن عزان بن قيس هو حفيد أسرة أحمد بن سعيد ثالث إمام من هذه الاسرة.

ومن هنا فبقدر تعلق الأمر بالارتباط الشعبي بآل بوسعيد فإن عزان يعد مؤهلا للحكم من بين منافسيه وقد كشف دون شك عن فطنة سياسة وشجاعة عسكرية-وهما صفتان متلازمتان للحفاظ على

النظام فيما بين قبائل عمان. أما نجاحه ضد الوهابيين فبالرغم من العداء الموجود بين أمير نجد وشقيقه سعود إلا أنه أعطاه ادعاء قوي بالفضل لاتباعه الذين وضعوا للسنوات الستين الأخيرة تحت طائلة دفع المساهمات المالية الثقيلة إلى هؤلاء إضافة إلى عيشهم في خوف مستمر من اعتداءاتهم.

وفي مجالات أخرى كذلك خيب عزان كثيرا من الآمال التي علقت عليه لدى أول انتصار له.

غير أن عزان الذي جرب قوته وجد أن بوسعه التخلي عن رفاقه فاتخذ مؤخراً سياسة أكثر تسامحاً وأدخل العديد من التحسينات في الإدارة الداخلية وكشف عن رغبة مخلصة للحفاظ على صداقات ودية مع الأجانب وخصوصاً مع الحكومة البريطانية.

أما الخطر القائم لأي هدوء في عمان وتحت حكم أفضل الحكام وهو وجود العديد من السادة أو أمراء الأسرة الحاكمة الذين يعتبرون أنفسهم مؤهلين لحقوق متساوية في الحكم ويتوقع أن يستفيدوا من تأكيد ادعاءاتهم.وهناك ثلاثين من هؤلاء النخبة على الأقل في الوقت الحاضر وعشرة إلى اثني عشرة منهم مثل السيد تركي هم ابناء السيد سعيد الراحل.

إن انفصال زنجبار والأقاليم الأفريقية الشرقية التابعة لها عن عمان عام١٨٦١ حيث شكلت دولة منفصلة تحت حكم السيد ماجد (انظر ص١٠٠) قد جعل هذه الدولة الفتية بعيدة عن حبائل الصراعات الأخيرة في الدولة الأم مما أعطاها مدى حر لاستغلال مواردها المتنامية وأن تصبح-وتحت حاكم متنور- وسيلة لتقدم الحضارة والصناعة والازدهار التجاري بين القبائل الأصلية على الساحل الأفريقي .أن موت السيد ماجد في تشرين الأول ١٨٧٠ قد أعقبه وصول شقيقه الأصغر برغش الذي من المؤمل أن تتحول تحت ظل

إدارته لزنجبار والأقاليم التابعة لها إلى نموذج جيد للتجربة المكتسبة من خلال إقامته في بومباي، وهو الذي وصل إلى سدة الحكم دون منافسة . أما العائق الأكثر خطراً أمام مستقبله فهو احتمال إقناعه بالتدخل سواء لصالحه أو لصالح شقيقه تركي في الشؤون الداخلية لعمان.

المــراجـــع

طبعات الكتب المقتبسة أو المشار إليها من قبل المحرر

١- أبو جعفر محمد ،الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، المحرر كوسيفارتن، عربي ولاتيني غريف ١٨٥٣.

٢- أبو الفدا ، الحوليات الإسلامية ، عربي ولاتيني هافينيا ، ١٧٨٩-١٧٩٤، تقويم البلدان ، عربي ، المحرر سي ، شير، برلين ولندن ، ١٨٤٦.

٣- أحمد بن يحيى ، البلاذري ، فتوح البلدان ، عربي ، المحرر م.جي.دي كوجه، لاكروني ١٨٦٦.

٤- اشر، أي ، تجوال بنيامين من توديلا ، لندن وبرلين، ١٨٤٠

٥- منتخبات حكومة بومباي، رقم ١٧،٢٤،٥٩ . بومباي ١٨٥٥-١٨٦١

٦- بيرنسفال ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، باريس ١٨٤٧.

٧- دي باروس واي كونو ، عقود في آسيا ، لشبونه ، ١٦١٥-١٧٣٦.

٨- ديغرمري وسانكونيتي ، رحلة ابن بطوطة ، عربي وفرنسي ، باريس١٨٥٤.

٩- هيربيلوت ، البيليوغرافيا الشرقية ، باريس ١٦٩٧.

١٠- فاريا دي سوزا، مانويل، آسيا البرتغالية ، لشبونة ١٦٦٦-١٦٧٥.

١١- فرسنيل ، رسائل حول تاريخ العرب قبل الإسلام ، باريس ١٨٣٦-١٨٣٧.

١٢- حمزة أصفهاني ،تاريخ ملوك الأرض ، عربي المحرر غوتوالدت ، بيتروب ١٨٤٤.

١٣- جوبير ، جغرافية الإدريسي ، عربي وفرنسي ، باريس ١٨٣٦.

١٤- جرجيس المكين ، تاريخ العرب ، عربي ولاتيني ،ليدا ١٦٢٥.
١٥- القران الكريم ، عربي ، تحرير فلويجل ليبسيا ، ١٨٥٧.
١٦- لين ، المصريون المحدثون ، لندن ، ١٨٤٦.
١٧- لي، اس ، رحلات ابن بطوطة ، لندن ، ١٨٢٩.
١٨- ميجور ، ار. اتش ، الهند في القرن الخامس عشر ، (جمعية هاكليوت) لندن، ١٨٥٧.
١٩- مالكولم ، السير جون ، تاريخ فارس ، لندن ١٨١٥.
٢٠- مراصد الاطلاع ، تحرير جوينبول ، عربي ، ١٨٥٠-١٨٦٤.
٢١- مارسدن ، وليام ، رحلات ماركوبولو، لندن ، ١٨١٨.
٢٢- التاريخ العالمي الحديث ، لندن ٨٠-١٨٨٤.
٢٣- نيبور ، وصف العرب ، امستردام ١٧٧٤.
٢٤- أوسلي ، السير دبليو ، الجغرافية الشرقية لابن حوقل ، لندن ١٨٠٠.
٢٥- بالكريف ، دبيلو جي ، قصة رحلة سنة في وسط وشرق الجزيرة ، لندن ١٨٦٥.
٢٦- باسيني ، لودوفيكو، رحلات ماركو بولو ، البندقية ، ١٨٤٧.
٢٧- بركنس ، جي ، الاقامة في فارس ، أندوفر ، الولايات المتحدة ، ١٨٤٣.
٢٨- بنكرتون ، جي ، المجموعة العامة للرحلات والاسفار ، الخ ، لندن ١٨٠٨.
٢٩- بوكوك ، اس ، نموذج التاريخ العربي ، أوكسون ، ١٨٠٦.
٣٠- رامسو ، جيوف ، الملاحة والأسفار ، الخ ، البندقية ، ١٦٠٦-١٦١٣.

٣١- رنياد ، م، علاقة الرحلات التي قام بها العرب ، الخ ، عربي وفرنسي ، باريس ١٨٤٥.جغرافية ابو الفداء ، باريس ١٨٤٨.
٣٢- رايكوت ، تاريخ الدولة الحالية للامبراطورية العثمانية ، لندن ، ١٦٧٥.
٣٣-سيل ، القرآن ، لندن، ١٨١٢.
٣٤- سيونيتا ، غابرييل ، جغرافية النوبين ، الإدريسي ، عربي ولاتيني ، روما وباريس ، ١٥٩٢-١٦١٩.
٣٥- سوزا، الوثائق العربية والتاريخ البرتغالي ، عربي وبرتغالي ، لشبونة ، ١٧٩٠.
٣٦-تكسيرا ، علاقة الأصل والاسرة وخلافة ملوك فارس على هرمز ، الخ ، انتورب ١٦١٠.
٣٧-فارثيما ، لودفيكو ، رحلات (جمعية هالكيوت) لندن ، ١٨٦٣.
٣٨-فنسنت ، دين ، تجارة وملاحة القدماء ، الخ ، لندن ١٨٠٧.
٣٩- ويلستيد ، جي ، آر ، رحلات في الجزيرة العربية ، لندن ١٨٣٨.
٤٠- يول ، هـ، الطريق إلى هناك (جمعية هاكيوت) لندن ، ١٨٦٦.
٤١- زكريا بن محمد القزويني ، كتاب أذكار البلاد ، الخ ، (كوزموغرافيا) عربي المحرر في ، ووستنفيلد ، نموتنك ، ١٨٤٨

أسماء الأئمة والسلاطين من أسرة البوسعيد
والفترة الزمنية التي تولوا فيها الحكم

م	الاسم	فترة الحكم - الهجري من – إلى	فترة الحكم - الميلادي من – إلى
١	الإمام/ أحمد بن سعيد بن أحمد البوسعيدي	١١٥٧ - ١١٨٩	١٧٤٤ - ١٧٧٥
٢	الإمام/ سعيد بن أحمد بن سعيد البوسعيدي	١١٨٩ -١١٩٣	١٧٧٥ - ١٧٧٩
٣	السيد/ حمد بن سعيد بن أحمد البوسعيدي	١١٩٣ - ١٢٠٧	١٧٧٩ - ١٧٩٢
٤	السيد/ سلطان بن أحمد بن سعيد البوسعيدي	١٢٠٧ - ١٢١٩	١٧٩٢ - ١٨٠٤
٥	السيد/ بدر بن سيف بن أحمد البوسعيدي	١٢١٩ - ١٢٢٢	١٨٠٤ - ١٨٠٧
٦	السيد/ سعيد بن سلطان بن أحمد البوسعيدي	١٢٢٢ - ١٢٧٣	١٨٠٧ - ١٨٥٦
٧	السيد/ ثويني بن سعيد بن سلطان البوسعيدي	١٢٧٣- ١٢٨٣	١٨٥٦ - ١٨٦٦
٨	السيد/ سالم بن ثويني بن سعيد البوسعيدي	١٢٨٣ - ١٢٨٥	١٨٦٦ - ١٨٦٨
٩	الإمام عزان بن قيس بن عزان البوسعيدي	١٢٨٥ - ١٢٨٨	١٨٦٨ - ١٨٧١
١٠	السيد/ تركي بن سعيد بن سلطان البوسعيدي	١٢٨٨ - ١٣٠٦	١٨٧١ - ١٨٨٨
١١	السيد/ فيصل بن تركي بن سعيد البوسعيدي	١٣٠٦ - ١٣٣٢	١٨٨٨ - ١٩١٣
١٢	السيد/ تيمور بن فيصل بن تركي البوسعيدي	١٣٣٢ - ١٣٥١	١٩١٣ - ١٩٣٢
١٣	السلطان/سعيد بن تيمور بن فيصل البوسعيدي	١٣٥١ - ١٣٩٠	١٩٣٢ - ١٩٧٠
١٤	جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم	١٣٩٠	١٩٧٠

* صدرت هذه القائمة عام ١٩٩٤م بمناسبة مرور مائتان وخمسون عاماً على حكم أسرة البوسعيد.

حقوق الطبع محفوظة

لدى وزارة التراث والثقافة

ص.ب : ٦٦٨ – الرمز البريدي : ١٠٠ مسقط – سلطنة عُمـان

تصميم غلاف الكتاب :

محمد بن محمود البريدي نقـال : ٩٦٣٨٨٨٢٦

طبع بالمطابع العالمية سلطنة عمان هاتف : ٢٤٨١٥٧٧١